الباب الثالث

تفسير حدوث اللحن
فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة
(دراسة من الكتب الثلاثة)

الفصل الأول

أثر تجاور الأصوات وتقاربها فى حدوث اللحن

أثر تجاور الأصوات وتقاربها فى حدوث اللحن

أولا ـ تجاور الأصوات :

يقع التجاور بين الأصوات الساكنة (١) كما يقع بين أصوات اللين (٢) ويراد بتجاور الأصوات الساكنة : أن يلتقى صوتان دون أن يفصل بينهما صوت لين. أما تجاه رصوتى اللين فهو تواليهما بحيث لا يفصل بينهما سوى صوت ساكن. وهذا التجاور ـ فيما قرر اللغويون ـ هو السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثر (٣) .

ومع التجاور تتم إحدى ظاهرتين لغويتين ، ينجم عنهما تطور فى بنية الكلمة قد يؤدى إلى اعتبار البنية الجديدة لحناً لغوياً عند أصحاب حركة تنقية اللغة .

هاتان الظاهرتان هما : التماثل Assimilation والتغاير Dissimilation وسنشرح كلتا الظاهرتين ونفسرهما فى ضوئها بعض الأمثلة التى جمعناها من الكتب الثلاثة :

(أ) ظاهرة التماثل Assimilation

التماثل هو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، تأثراً يؤدى إلى التقارب فى الصفة أو المخرج ، تحقيقاً للانسجام الصوتى ، وتيسيراً لعملية النطق ، واقتصاداً فى الجهد العضلى . والتماثل « ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر وفى نوعه (٤) » .

---

(١) Consonants

(٢) Vowels

(٣) الدكتور ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية : ١٢٦ .

(٤) المصدر نفسه .

عند سيبويه :

[هذه الظاهرة عبر عنها «سيبويه» بقوله : « هذا باب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه (٥) » ، وهو يعنى بـ « الحرف الذى من موضعه » الصاد الساكنة (٦) إذا كانت بعدها الدال نحو : مَصْدر وأصْدر والتصدير ، حيث أبدلت الصاد زاياً مفخمة عند بعض العرب لأن الزاى « أشبه الحروف بالدال من موضعه » وهى « مجهورة غير مطبقة » ولكنهم « لم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق » و « سمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة » ، « وذلك قولك فى التصدير : التزدير ، وفى المصدر : المَزْد ، وفى أصدرت : أزدرت (٧) » .

ويريد بالحرف الذى ليس من موضعه الشين حين تضارع بها الزاى فى نحو آشدق (٨) . ولعله يعنى الجهر بالشين حتى تقترب من الزاى وهما ليسا من مخرج واحد ، ومن هذه المضارعة عنده قول بعض العرب : أشدر أى أجدر .

وعد سيبويه من المضارعة : قلب السين صادا فى بعض اللهجات ، إذا وقعت السين قبل القاف أو الخاء أو الغين أو الطاء (الكتاب : ٢ / ٤٢٧) .

ويعلل سيبويه لهذه المضارعة أو هذا التماثل — كما اصطلح عليه اللغويون المحدثون — بقوله : « وإنما دعاهم إلى أن يقربوها (أى الصاد) ويبدلوها (زاياً مطبقة) أن يكون عملهم من وجه واحد ، وليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد (٩) » .

---

(٥) كتاب سيبويه : ٢/٤٢٦

(٦) قال سيبويه : « فان تحركت الصاد لم تبدل ، لانه قد وقع بينهما شىء » (اى صوت اللين) وهذا يوافق ماجرى عليه اللغويون المحدثون .

(٧) كتاب سيبويه : ٢/٤٢٦

(٨) المصدر نفسه

(٩) المصدر نفسه

وقاس المضارعة فى أصوات اللين على المضارعة فى الحروف (الأصوات الساكنة) ، حين قال فى إمالة الألف (٢/٢٥٩): « وإنما أمالوها للكسرة التى بعدها ، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا فى الإدغام الصاد من الزاى».

عند ابن جنى :

وقد عالج « ابن جنى » هذه الظاهرة ، بعد « سيبويه » وسماها : الادّغام الأصغر ، وهو عنده : « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادّغام [يكون هناك (١٠) » ، وهذا التقريب عنده ضروب ، ونوردها فيما يلى ، بعد إعادة ترتيبها بحيث تنقسم إلى : ١ — تقريب فى الأصوات الساكنة .

٢ — تقريب فى أصوات اللين .

١ — التقريب فى الأصوات الساكنة :

(أ) يقول ابن جنى : «من ذلك أن تقع فاء (افتعل) زاياً أو دالا أو ذالا ، فتقلب تاؤه لها دالا ، كقولهم : ازدان وادّعى ، وادّكر واذدكر ، فيما حكاه أبو عمرو (١١) » .

(ب) « ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء ، وذلك نحو : اصطبر ، واضطرب ، واطّرد ، واظطلم ، فهذا تقريب من غير ادّغام » ويعلل ابن جنى ما فى اطّرد من الادّغام بأن ادّغامه وقع التقاطاً لا قصداً « وذلك أن فاءه طاء ، فلما أبدلت تاؤه طاء صادفت الفاء طاء ، فوجب الادغام لما اتفق حينئذ ، ولو لم يكن هناك طاء لم يكن ادّغام(١٢) ».

(جـ) « ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فتقرب منه بقلبها صادا (١٣) ، ويمثل لذلك بقولهم : صُقت ، والصوق ، وصاخط ،

---

(١٠) الخصائص : ٢/١٤١
(١١) المصدر السابق : ٢/١٤٢
(١٢) المصدر السابق : ٢/١٤١
(١٣) المصدر السابق : ١٤٢

فى سقت والسوق وساخط . . . إلخ .

(د) « ومنه تقريب الحرف ، من الحرف نحو قولهم فى مصدر : مزدر . وفى التصدير : التزدير . وعليه قول العرب فى مثل : « لم يُحرم من فُزْدِله » أصله : فُصِد ، ثم أسكت العين على قولهم فى ضُرِب ضُرْب ، وقوله :

لا • ونفْخُوا فى مدائنهم فطارُوا (١٤) •

فصار تقديره : فُصْد له . فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد — وهى مهموسة — الدال — وهى مجهورة — قربت منها بأن أشمت شيئاً من لفظ الزاى المقاربة للدال بالجهر (١٥) » .

(هـ) « ومن ذلك قولهم : سِتٌّ ، أصلها سِدْس ، فقربوا السين من الدال بأن قلبوها تاء فصارت سِدْت . فهذا تقريب لغير إدغام . ثم إنهم فيما بعد أبدلوا الدال تاء لقربها منها إرادة للإدغام الآن فقالوا : ست ، فالتغيير الأول للتقريب من غير إدغام ، والتغيير الثانى مقصود به الإدغام (١٦) »

٢ — التقريب فى أصوات اللين (١٧) :

(ا) « من ذلك الإمالة ، وإنما وقعت فى الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو : عالم وكتاب وسَعَى وقَضَى واستقضَى ، ألا تراك قَرَّبت

---

(١٤) هذا عجز بيت للقطامى وصدره : ألم يخز التفرق جند كسرى
والمثل : لم يحرم من فصد له (بضم الفاء وسكون الصاد) جاء على لهجة بكر بن وائل وأناس كثير من تميم (كتاب سيبويه : ٢ / ٢٥٨)

(١٥) الخصائص : ٢/١٤٤

(١٦) المصدر السابق : ١٤٣ وقد أخذ ابن جنى هذا التفسير عن سيبويه (الكتاب : ٢/٤٢٨)

(١٧) هذه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين ليست من عند ابن جنى بل انى أعدت ترتيب كلامه ووضعت أمثلته تحت هذين العنوانين جمعا للظواهر المتشابهة .

فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء ، وكذلك سعى وقضى ، نحوت بالألف نحو الياء التى انقلبت عنها (١٨) » .

(ب) « ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو : شِعير وبِعير ورِغيف (١٩) » .

(جـ) « ومن ذلك أيضاً قولهم : (فَعل يفعَل) مما عينه أولامه حرف حلقى نحو سأل يسأل وقرأ يقرأ . . . . . وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين فى المضارع جنس حرف الحلق ، لـمَّا كان موضعاً منه مخرج الألف التى منها الفتحة (٢٠) » .

(د) « ومن التقريب قولهم : الحمدُ لله والحمدِ لله (٢١) » .

وقد بين ابن جنى أن العرب يؤثرون قرب الصوت من الصوت ، حتى دعاهم ذلك إلى الإخلال بالإعراب فى نحو قولهم : « الحمدِ لله (٢٢) » .

يتضح مما سبق أن سيبويه وابن جنى قد تناولا ظاهرة التماثل وفسَّرا بها التغير الذى حدث فى أصوات اللغة (٢٣) . وقد حرصت على استخلاص

---

(١٨) الخصائص : ٢/١٤١ وراجع كتاب سيبويه : ٢ / ٢٥٩ .
(١٩) المصدر نفسه : ١٤٣
(٢٠) المصدر نفسه : ١٤٣
(٢١) المصدر نفسه : ١٤٤
(٢٢) المصدر نفسه : ١٤٥

(٢٣) ولأبى اسحاق الزجاج تفسير يوافق تفسير سيبويه وابن جنى للابدال الذى حدث فى قوله تعالى : « تدخرون فى بيوتكم » اذ قال (اللسان : ذخر) اصله تذتخرون لأن الذال حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجرى معه ، لشدة اعتماده فى مكانه ، والتاء مهموسة فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال فى جهرها وهو الدال .

هذه الظاهرة من كلامهما لتكون معالجتى لأمثلة اللحن فى ضوء التماثل قائمة على أساس متين، أرسى دعائمه القدماء ، وقوى بنيانه المحدثون ، وأيدته تجاربهم وبحوثهم .

عند المحدثين :

يقرر المحدثون أن الأصوات اللغوية المتجاورة يتأثر بعضها ببعض ، وأنها فى تأثرها تتجه إلى نوع من المماثلة بينها ، ليزداد مع مجاورتها قربها فى الصفات أو المخارج ، ويذكرون أن هذا التماثل قد يسمى بالانسجام الصوتى بين أصوات اللغة ، كما سماه القدماء : المضارعة أو التقريب . ويجعل المحدثون التماثل درجات (٢٤) :

١ — الجهر والهمس : وذلك إذا كان الصوتان المتجاوران تجاورًا مباشرًا مختلفين فيهما فيتم التماثل ، بأن يقلب أحدهما إلى صوت قريب منه يوافقه فى الصفة ، ليصبح الصوتان مجهورين أو مهموسين .

٢ — انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف أو العكس . وذلك أن من الأصوات ما يتخذ الهواء مجراه عند النطق به خلال الفم ، وهو أكثر أصوات اللغة العربية ، ومنها ما يتخذ الهواء معه مجراه من الأنف كالنون والميم . وقد لاحظ المحدثون أن الصوت من النوع الأول قد ينتقل إلى نظيره من النوع الثانى .

٣ — انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلى إلى مخرج آخر فيستبدل به أقرب الأصوات إليه فى هذا المخرج الجديد .

٤ — تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة أو العكس .

٥ — الإدغام وهو فناء أحد الصوتين فى الآخر إذا كانا متجانسين أو متقاربين .

---

(٢٤) من الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس : ١٢٦ — ١٣٤

والتماثل – حسب تأثر الصوت الثانى بالأول أو العكس – نوعان :

(أ) اتباعى أو تقدمى Progressive :

وهو أن يتأثر الصوت الثانى بالأول كما فى « ازدان » من « ازتان » ، فقد تأثرت التاء المهموسة بالزاى المجهورة فقلبت التاء دالا ليجتمع صوتان مجهوران .

(ب) تخلفى أو تهيئى Regressive

وهو أن يتأثر الصوت الأول بالثانى ، وهو كثير الشيوع فى اللغة الفرنسية وفى العربية أيضاً ، ومن أمثلته فى العربية الإدغام حيث يفنى الصوت الثانى فى الأول ، وقراءة الكسائى : « حتى يصدر الرعاء » ، حيث أشمت الصاد صوت الزاى (٢٥) .

ويتضح مما أسلفنا من آراء سيبويه وابن جنى فى المضارعة والتقريب بين الأصوات مدى التوافق – الذى يكاد يكون تاماً – بين آراء القدماء والمحدثين .

تفسير حدوث اللحن فى ضوء ظاهرة التماثل :

وفى ضوء ما سبق نفسر حدوث اللحن فى الأمثلة الآتية :

١ – ذكر ابن مكى فى « تثقيف اللسان » (٢٦) أن العامة تقول : « اشْتَرَّت الماشية ». والصواب : اجترت ، كما ذكر ابن الجوزى (٢٧) أن العامة تجعل مكان الجيم شينا فى : الشاة تجتر .

---

(٢٥) راجع مصطلحات علمى الأصوات واللغة فى مجلة مجمع اللغة العربية : ٢١٥/١٦

(٢٦) ص : ٨١

(٢٧) ص : ١٠٤

٢ ــ وذكر ابن مكى أيضاً ، أنهم يقولون : « فلان مشتهد » بدل: مجتهد (٢٨) .

والتماثل هو سبب حدوث اللحن فى الأمثلة السابقة ، فالجيم وهى صوت مجهور (٢٩) جاورت التاء وهى صوت مهموس (٣٠) فتأثرت الجيم بالتاء تأثرًا تخلفياً وهو كثير الشيوع فى اللغة العربية، فقلبت الجيم صوتاً مهموساً ، يتحد معها فى المخرج وهو الشين ، فكلاهما من أصوات وسط الحنك ، ومخرج الجيم عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى (٣١) ، ومخرج الشين عند التقاء أول اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى (٣٢) .

٣ ــ ذكر ابن مكى أيضاً أن عامة صقلية يقولون: « أمر مُزْجَل » أى مطلق ، والصواب : مسجل (٣٣) ونطق السين زايًا سببه التماثل أيضاً ، فقد جاورت السين وهى مهموسة ، الجيم وهى مجهورة ، فتأثر الصوت الأول بالثانى تأثرًا تخلفياً وهو كثير الشيوع فى اللغة العربية ، فأبدل من السين نظيرها المجهور وهو الزاى ليصبح الصوتان مجهورين ، وهما الزاى والجيم ، والسين والزاى من أصوات الصفير وكلاهما صوت رخو ومخرجهما واحد ، وهو عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا(٣٤) .

---

(٢٨) تثقيف اللسان : ٨١

(٢٩) الصوت المجهور Voiced Consonant : صوت يهتز معه الوتران الصوتيان اهتزازا منتظما مثل الزاى والضاد والدال والذال ونحوها (مجلة مجمع اللغة العربية : ١٦ / ٢١٢ .

(٣٠) الصوت المهموس Voiceless Consonan : صوت لايهتز معه الوتران الصوتيان مثل السين والصاد والتاء والثاء. (مجلة مجمع اللغة العربية : ١٦ / ٢١٣) .

(٣١) الأصوات اللغوية : ٦٥

(٣٢) المصدر نفسه

(٣٣) تثقيف اللسان : ٨٥

(٣٤) الأصوات اللغوية : ٦٤

٤ — ذكر ابن الجوزى أن العامة يقولون لعذق النخلة : العشّق بالشاء . وهنا تماثل أيضاً، فقد تجاورت الذال وهى صوت مجهور والقاف وهى صوت مهموس (وهى عند القدماء مجهورة)، ولكى يتم الانسجام بين الصوتين المتجاورين تأثر الصوت الأول بالثانى تأثراً تخالفياً فقلب صوت الذال المجهور صوتاً مهموساً والمهموس الذى يناظر الذال هو الشاء، فهما متفقان مخرجاً ورخاوة، فمخرجهما من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا(٣٥) .

٥ — فى أحد الكتب الثلاثة وهو « لحن العامة » للزُّبيدى : اعتراف بأثر هذه الظاهرة وتجويز لما شمع من الكلمات التى حدثت فيها ، فقد ذكر الزبيدى(٣٦) ،أن العامة يقولون : مزدغة بالزاى وفتح الميم — قال: والصواب مصدغة (بالصاد وكسر الميم) وإن شئت قلت : مِزدغة . ووضح ذلك بقوله : « والزاى تخالف الصاد إذا كانت ساكنة وبعدها الدال ،يقال : اصدق وازدق ، وتقول العرب فى مثل من أمثالها : « لم يُحرم مَن فُصْد له، ومن ذُزْد له » والزبيدى يصف ما حدث فى حالة تعد من التماثل ،ووصفه وإن لم يوضح التفسير الصوتى ، يعد اعترافاً بأثر هذه الظاهرة، ويبدو أن تطور المصدغة إلى المزدغة قديم ، فقد روى ابن السكيت : « تزدغت بالمزدغة (٣٧) » .

والتفسير الصوتى لما قاله الزبيدى هو أن الصاد وهى صوت مطبق مهموس جاورت الدال التى صرت مجهور ، ولكى يتم الانسجام الصوتى بينهما تأثرت الصاد بالدال تأثراً تخالفياً ،وهو الكثير الشيوع فى اللغة العربية، فقلبت إلى نظيرها المجهور وهو الزاى المفخمة ، التى نسميها الآن « الظاء العامية » ، ولعلها رققت عند عامة الأندلس لشيوع الترقيق فى كلامهم ، فكانت تنطق زاياً خالصة .

---

(٣٥) المصدر السابق : ٤٨
(٣٦) لحن العامة : ١٩٥
(٣٧) كنز الحفاظ : ٦٦٩

وقد روى سيبويه فى كتابه «(٣٨) أن الزاى فى التزدير والفزد (وأصلهما التصدير والفصد) تكون مفخمة . ثم قال « وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة كما جعلوا الإطباق ذاهباً فى الإدغام (٣٩) .

٦ — وجاء مثل آخر لتوضيح هذه الظاهرة فى «تقويم اللسان » لابن الجوزى (٤٠) حيث روى عن النضر بن شميل قوله : « لا تكون الصاد مع السين إلا فى أربعة مواضع : إذا كانت مع الطاء كسَطْر وصَطْر ، ومع الخاء كصَخْر وسخْر ، ومع القاف كصَقْب وسَقْب ، ومع الغين كصُدْغ وسُدْغ . فإذا تقدمت هذه الأحرف السين لم يجز ذلك ، لا يجوز أن تقول : خُصْر وخُسْر ، وقَسْب وقَصْب ، وطِرْس وطِرْص » .

وكلام النضر بن شميل يوافق ما قرره المحدثون من أن التأثر التخلفى أى تأثر الأول بالثانى هو الشائع فى اللغة العربية ، وإن كان التجاور غير تام فى الأمثلة المذكورة إذ فصل بين السين وما يليها من الأصوات المستعلية صوت لين .

والتفسير الصوتى لما حدث هنا أن السين وهى صوت مرقق سبقت الطاء أو القاف أو الخاء أو الغين ، وكلها من الأصوات المستعلية المفخمة ، فتأثرت بها السين تأثراً تخلفياً ، وقلبت إلى نظيرها المطبق وهو الصاد تحقيقاً للانسجام الصوتى فى الكلمة ، والسين والصاد من مخرج واحد ، هو التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جداً يندفع خلاله الهواء ، فيحدث صفيراً عالياً (٤١) وكلاهما صوت رخو مهموس . وهذا الذى قاله النضر بن شميل مروى عن سيبويه (الكتاب : ٤٢٧/٢ ، ٤٢٨) وقد زاده ابن جنى توضيحاً بقوله : « ومن ذلك

---

(٣٨) ٤٢٦/٢
(٣٩) الكتاب : ٤٢٦/٢
(٤٠) ص : ١٩٥
(٤١) الأصوات اللغوية : ٦٤

(أى من تقريب الحرف من الحرف) أن تقع السين قبل الحرف المستعلى فتقرب منه بقلبها صاداً » (٤٢) . وجعل ابن السيّد البطليوسى هذا الإبدال قياسياً وحدد شروطه ، فقال : « كل سين وقعت بعدها عين (٤٣) ، أو غين ، أو خاء ، أو قاف ، أو طاء ، جاز قلبها صاداً (٤٤) وشرط هذا الباب أن تكون السين متقدمة على هذه الحروف لا متأخرة بعدها (٤٥) وأن تكون هذه الحروف مقاربة لها لا متباعدة عنها ، وأن تكون السين هى الأصل ، فإن كانت الصاد هى الأصل لم يجز قلبها سيناً . . . وإنما قلبوها صاداً مع هذه الحروف لأنها حروف مستعلية ، والسين حرف متسفل ، فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل لما فيه من الكلفة (٤٦) .

وفى ضوء ما سبق من تأثير الأصوات المستعلية فى قلب السين صاداً ، يمكننا الاعتراف بقول العامة فى صقلية وبغداد : أخذه قصراً ، وبقول عامة صقلية : صِفْر ، وصُور المدينة ، وصُرَّة البطن . وبقول عامة بغداد : صَمِيراء لمنزل بطريق مكة . وهذه الأمثلة فى اللغة المشتركة بالسين : أخذه قسراً وهذا سِفْر ، وسُور المدنية ، وسُرَّة البطن ، وسَمِيراء .

---

(٤٢) الخصائص : ٢/١٤٢

(٤٣) كذا فى المزهر : ١ : ٤٦٩ ولعلها خطأ اذ يدل كلام البطليوسى بعد على أن هذه الأحرف مستعلية ، والعين ليست كذلك . وهو لم يذكرها ضمن هذه الأحرف فى « الاقتضاب » : ٢٠٣

(٤٤) يمكن حمل الجواز هنا على الأخذ باللهجة التى قيل فيها بالصاد ، لا أن اصحاب اللهجة الواحدة يجوز لهم هذا وذاك .

(٤٥) هذا يدل على شيوع التأثر التخلفى فى اللغة العربية ، اى تأثر الأول بالثانى .

(٤٦) المزهر : ١/٤٦٩ نقلا عن كتاب « الفرق بين الأحرف الخمسة » لابن السيد البطليوسى .

وإنما قلبت السين صاداً لوجود الراء بعد السين ، والراء تعد فى حكم أصوات الاستعلاء، ولها حكمها فى موانع الإمالة (٤٧) .

ونجيز هذا القلب مع عدم التجاور ، جرياً على ما ذكره سيبويه فى كتابه (٢ — ٤٢٧) من أن المضارعة بين الصوتين قد تتم مع البعد ، نحو : مصادر والصراط بإشمام الصاد صوت الزاى ، بسبب الدال والطاء :

هذا هو التماثل فى الأصوات الساكنة ، وقد خرجنا عليه ما أمكن تخريجه مما جاء فى الكتب الثلاثة موضع الدراسة .

وأما التماثل فى أصوات اللين فالغرض منه تحقيق الانسجام الصوتى بينها . « ويلعب الانسجام بين أصوات اللين دوراً هاماً فى معظم لغات البشر ، وهو من التطورات الحديثة التى تميل إليها اللغات بصفة عامة » (٤٨) وقد اعترف به اللغويون العرب القدماء، وسماه ابن جنى « تقريب الصوت من الصوت » وقد سبق أن نقلنا قوله فى ذلك ، فى أول هذا الفصل .

وفى ضوء هذه الظاهرة يمكن تفسير حدوث اللحن فيما يلى :

١ — كلمات يتم فيها الانتقال — فى اللغة العربية المشتركة — من فتح إلى كسر أو من كسر إلى فتح ، فتطورت — فيما ورد فى الكتب الثلاثة — إلى صوت لين مماثل للصوت المجاور ، ليتم الانسجام بين صوتى اللين فيكونا فتحتين أو كسرتين تيسيراً فى النطق ، واقتصاداً فى الجهد العضلى « فلا شك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح والعكس، يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو

---

(٤٧) شرح الأشمونى : ١٦٨/٤ . ومصطلحات علمى الأصوات واللغة التى أقرها مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع : ٢١٧/١٦) حيث عدد من الأصوات المستعلية الراء واللام فى حال تفخيمهما .

(٤٨) الدكتور ابراهيم أنيس : فى اللهجات العربية : ٥٨

انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض (٤٩) ».

ومن ذلك قول عامة الأندلس: قَشَّاء بدل: قِثَّاء (٥٠) ، ومَطْرد (٥١) ومَقْود الدابة (٥٢) ، ومَنْكَب الإنسان (٥٣) ، ومَقْنعة (٥٤) ، ومَزْدَغة (٥٥) ونَرْجَس (٥٦) وحَبالة الصائد (٥٧) . بدل : مِطْرد ، ومِقْود ، ومَنكِب ، ومِقْنعة ، ومِقْنَع ، ومِصْدغة أو مِزْدغة ، ونَرجِس ، وحِبالة .

ومن ذلك أيضاً قول عامة صقلية: مَطْرف ومَصْحف (٥٨) والصواب : مِطْرف ومُطرف ، ومِصْحف ومُصْحف ، وقولهم : مَنْجَل (٥٩) بدل : مِنجَل ، ونِكير بدل : نَكير (٦٠) والمَبيت بدل : المَبيت (٦١) وشِعير ، وسَعيد ، وبَعير ، وشَهدت ، ولَعبت (٦٢) بكسر الأول منها بدل فتحه . وخَزانة وبَطانة بدل : خِزانة وبِطانة (٦٣) .

ومن ذلك قول عامة بغداد: مَرْوَحة ، ومَخدة ، ومَقْنَعة ، ومَلْحفة ،

---

(٤٩) الدكتور ابراهيم انيس : فى اللهجات العربية : ٥٧
(٥٠) لحن العامة : ٩٠
(٥١) المصدر نفسه : ١٩٩
(٥٢) ص : ١٠٣
(٥٣) ص : ١٨٨
(٥٤) ص : ١٩٣
(٥٥) ص : ١٩٥
(٥٦) ص : ١٣١
(٥٧) ص : ١٩١
(٥٨) تثقيف اللسان : ٢١٨
(٥٩) المصدر نفسه : ١٢٩
(٦٠) المصدر نفسه : ١٣٢
(٦١) المصدر نفسه : ١٣٤
(٦٢) المصدر نفسه : ٢٢٧
(٦٣) المصدر نفسه : ١٣٣

ومَسَلَّة ، ومَذَبَّة ، ومَقْرَعة ومَغْرفة ، ومَيْشَرة ، ومَقطرة ، ومَطرقة ، ومَدَقَّة ، ومَقرحة ، ومَنطقة ، ومَبرد ، ومَطرد ، ومَبضع ، ومسلح ، ومأصَر (٦٤) وهى فى اللغة : مِفعَلة ، ومِنْعَل ، ومَفعِل .

وقولهم : دِمشق ، وفِلَسطين ، ووَتد ، ومَعدَن ، بدل : دِمَشق وفِلَسطين ووَتد ، ومَعدِن .

ومنه نطقهم للنعل الذى جاء على فَعل بكسر العين ، إما على وزن : فَعَل ، وإما على وزن : فِعل بفتحتين أو كسرتين ، مثل : شَمَمت (٦٥) ، وزَرَدت اللُّقمة ، وقمَحت السويق ، وفَرَكت المرأة زوجها ، وقَضَمت الحب ، ولَشَمت ولَجَجت ، ولَحَسَت ، ولعَقت ، وسِمِن (٦٦) .

٢ — كلمات يَمّ الانتقال فيها — فى اللغة العربية المشتركة — من ضم إلى فتح ، أو من فتح إلى ضم ، فيقولها العامة بفتحتين أو ضمتين ، تحقيقاً للانسجام بين صوتى اللين .

ومن ذلك قول عامة الأندلس : خَيْزَران ، بدل : خيزُران (٦٧) ، وبالدابة قَوام بدل : قُوام (٦٨) ، ولَغوى بدل : لُغوى (٦٩) ، وقولهم : قَرنفُل بدل : قُرنفُل (٧٠) .

ومن ذلك أيضاً قول عامة صقلية : مَخْدَع بدل : مُخدَع أو مِخْدَع (٧١)

---

(٦٤) تقويم اللسان لابن الجوزى : ١٨١

(٦٥) كذلك نطق به اهل صقلية أيضا واعتبرها ابن مكى صوابا (تثقيف اللسان : ٢٣٢)

(٦٦) من تقويم اللسان لابن الجوزى الصفحات : ١٣١ : ١٣٦ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٨ .

(٦٧) لحن العامة : ٨٥ وقد ذكر ابن مكى انه يقال خيزران بفتح الزاى (تثقيف اللسان : ٢١١)

(٦٨) لحن العامة : ١١٧

(٦٩) عن « تصحيح التصحيف للصفدى » نقلا عن الزبيدى : ٢٧٢ .

(٧٠) لحن العامة : ٩٤

(٧١) تثقيف اللسان : ٢٢٠

وفستُق بدل: فُستَق (٧٢) ، وسَيْكَران (نبت) بدل: سَيْكُران (٧٣) ، ويَحصَد الزرع بدل : يَحصُد أو يَحصِد (٧٤) .

ومنه قول عامة بغداد : الدَّوَّامة بدل : الدُّوَّامة (٧٥) ، وسُحُور ، وسُنُوف (٧٦) وفُطُور (٧٧) ولعوق (٧٨) وما أشبه ذلك بدل فتح أوائلها .

٢ — ظاهرة التغاير Dissimilation

ومعناها فى علم الأصوات اللغوية : حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين فى الكلمة الواحدة (٧٩) ، ويحدث هذا الاختلاف فى الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل ، أى واو المد ، أو ياء المد ، أو ألف المد ، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، وهى المسماة بالأصوات المائعة Liquids وهى : اللام والنون والميم والراء .

ووجه الشبه بين هذه الأصوات الأربعة وأصوات اللين ، كما تبرهن عليه الدراسة الصوتية الحديثة يبدو فى ثلاث نواح :

١ — الناحية الفسيولوجية : وهى أن مجرى الهواء مع هذه الأصوات يتسع أكثر من اتساعه مع الأصوات الساكنة الأخرى ، وهذا الاتساع يجعل الحفيف يكاد لايسمع ، فتشبه بذلك أصوات اللين التى يتسع معها مجرى الهواء جداً ، بحيث

---

(٧٢) تثقيف اللسان : ١٢٣
(٧٣) تثقيف اللسان : ١٢٩
(٧٤) تثقيف اللسان : ٢٢٠
(٧٥) تقويم اللسان : ١٢٣
(٧٦) تقويم اللسان : ١٣٨
(٧٧) تقويم اللسان : ١٦٣
(٧٨) تقويم اللسان : ١٧٨
(٧٩) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٦/٢١٥ (مصطلحات علمى الأصوات واللغة) .

لا يسمع لها أى نوع من الحفيف (٨٠) ، وإن كان مجرى الهواء معها خالياً من أى حائل أو مانع (٨١) .

٢ ــ ناحية الأثر السمعى : لاحظ اللغويون المحدثون أن النون وأخواتها أقرب الأصوات الساكنة إلى أصوات اللين فى الوضوح السمعى ، وهو الأساس الصوتى الذى بنيت عليه التفرقة بين الصوت الساكن وصوت اللين (٨٢) .

٣ ــ الشيوع والسهولة : فى آخر إحصاء بوساطة الحاسب الإلكترونى ، أجرته جامعة الكويت (١٩٧١ ــ ١٩٧٣) لجذور مفردات اللغة العربية ، الواردة فى معجمات : الصحاح ، واللسان ، وتاج العروس : تبيَّن أن نسبة ورود الأصوات الأربعة (ر ن م ل) هى أعلى نسبة . وأنها على الترتيب : الراء (فى المعجمات الثلاثة) ، ثم النون (فى اللسان والتاج) ثم الميم (فى اللسان والتاج) وفى الصحاح النون. وآخرها : اللام(٨٣).

كما يتضح مما أورده الفيروزابادى فى كتابه « بصائر ذوى التمييز(٨٤)» ، أن هذه الأحرف أكثر شيوعاً فى القرآن الكريم حيث بين أن عدد اللامات فى القرآن الكريم : ٣٣٥٢٢ وعدد النونات : ٢٦٥٢٥ وعدد الميمات : ٢٦١٣٥ وعدد الراءات : ١١٧٩٣ .

ولما كان من خصائص أصوات اللين شيوعها بنسبة كبيرة جداً فى الكلام ، وسهولتها فى النطق(٨٥) فإن هذه الأصوات تشبهها من هذه الناحية أيضاً.

---

(٨٠) راجع بحث : « حروف تشبه الحركات » للدكتور ابراهيم أنيس : مجلة مجمع اللغة العربية : ١٣/١٦

(٨١) الأصوات اللغوية : ٢٧

(٨٢) المصدر نفسه : ٢٨

(٨٣) وكان حرف الظاء آخر الحروف فى نسبة الورود فى الصحاح ، واللسان وتاج العروس . وفق احصاء الحاسب الالكترونى . انظر الكتب الأربعة التى اصدرتها جامعة الكويت عن هذا الاحصاء (١٩٧١ ــ ١٩٧٣).

(٨٤) ج ١ ص : ٥٦٣ ــ ٥٦٦

(٨٥) الأصوات اللغوية : ٣١

وقد أدى هذا التشابه إلى اشتراك هذه الأصوات الأربعة وأصوات اللين الطويلة فى ظاهرة « التغاير » التى عرفناها ، والتى نحاول — فى ضوئها — تفسير حدوث اللحن فى الكتب الثلاثة التى بين أيدينا .

وغاية هذه الظاهرة تحقيق السهولة فى النطق ، وتقليل الجهد العضلى ، ذلك أن النطق بالصوت المضعف يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو قلب أحد الصوتين إلى صوت لين ، أو صوت من الأصوات التى برهنت الدراسة الصوتية الحديثة على وجود شبه بينها وبين أصوات اللين ، وهى الأصوات الأربعة السابقة (الراء واللام والميم والنون) .

هذه الظاهرة التى قررها المحدثون ، وبرهنوا عليها ، أشار إليها القدماء فى مؤلفاتهم ووصفوها أحياناً دون أن يسموها ، ودون أن تصل عندهم إلى أن تكون مبدأ مقرراً .

أمثلة ظاهرة التغاير وآراء اللغويين بصددها :

قبل أن نطبق قاعدة « التغاير » على ما جمعناه من الكتب الثلاثة مما عد لحناً ، نورد أمثلتها التى جمعناها من كتب اللغة ، وآراء اللغويين بصددها :

١ — عقد سيبويه باباً سماه « باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء ، لكراهية التضعيف » ، وذكر من ذلك : تسرّيت وتظنّيت وتقصّيت ، وهى من : تسرّر ، وتظنّن ، وتقصص (٨٦) ، من القصة (كما ذكر سيبويه) فسيبويه يحكى هذه الظاهرة ، ولكنه يعدها شاذة .

٢ — حكى الجوهرى عن سيبويه قوله : « وترّعُرنْد » ، أى غليظ فى موضع : عردّ ، أى أن النون أبدلت من أحد المثلين المضعفين ، وقال الجوهرى : ونظيره من الكلام : تُرنُج (٨٧) وهو الأترجّ .

---

(٨٦) الكتاب : ٢/٤٠١

(٨٧) الصحاح (عرد) والأترج : شجر ناعم الأغصان ، ثمره كالليمون الكبار ، ذهبى اللون ، ذكى الرائحة .

والترنج : حكاه أبو عبيدة كما فى اللسان (ترج) وحكاه أبو زيد كما فى « تثقيف اللسان » لابن مكى (٨٨) .

٣ ــ قال الفراء : جلمط رأسه أى حلقه ، والميم زائدة (٨٩) .

٤ ــ قال أبو عبيدة : إن العرب تقلب الحرف المضاعف إلى الياء ، ومنه قوله تعالى : (وقد خاب من دسّاها) (٩٠) ، وهو من دسّس وقوله تعالى : (لم يتسنّه)(٩١)من : مسنون: وقولهم : سُرِّية من تسرّرت ، وتلعّيت من اللُّعاعة(٩٢)وهذا المثال الأخير عن ابن الأعرابى أيضاً، حكاه أبو الطيب اللغوى فى « الإبدال » وقال : والأصل : تلعّعْت(٩٣) .

٥ ــ قال ابن السكيت : إن أصل تسرّى الجارية : تسرّر من السُّرُور ، فأبدلوا من إحدى الراءات ياء ، كما قالوا : تقضّى من : تقضّض (٩٤) .

٦ ــ من الأمثلة التى رواها أبو الطيب اللغوى : قول اللغويين فى قول كثيِّر :

تزور امْرَءًا أما الإلهَ فيتّقى وأما بفعل الصالحين فيأتمى

أراد: يأتمّ ، فأبدل من إحدى الميمين ياء (٩٥) .

ويقولون: خذ إما هذا وإما هذا ، وإيما هذا وإيما هذا ، كما قالوا: أمّا

---

(٨٨) جس : ٢٣٣
(٨٩) الصحاح : (جلط)
(٩٠) سورة الشمس : ١٠
(٩١) سورة البقرة : ٢٥٩
(٩٢) المزهر : ٤٦٨/١
(٩٣) الابدال : ٢٢٥/٢
(٩٤) الصحاح : (سرى)
(٩٥) الابدال : ٤٥٣/٢

وأيْما (٩٦) ، ويقال : أمللت الكتاب أمله إملالا ، وأمليته أمليه إملاء . وقد جاء بهما القرآن ، قال تعالى: (ولْيُمْلِلِ الذى عليه الحقُّ) (٩٧) ، وقال : (فهى تُملَى عليه بُكْرةً وأصيلا) (٩٨) وحكى أبو الطيب أيضاً : الخَنْدَنَّق والخَنْدَرْنق ، والخَنْدَنَّق والخَنْدَرْنُق ، أربعة أسماء للعنكبوت (٩٩) فأبدل من إحدى النونين راء .

ومثله : حكى فى واحد الذراريح : ذُرُّوح وذُرْنُوح (١٠٠) .

ويقال : مطلت السِّير أمُطُّه مَطّاً ، ومَطَوْته أمطوه إذا مددته (١٠١) وغَذَّ الجرح يَغِذُّ ، وغذا يغذو ، إذا لم يرقأ (١٠٢)

وعن الأصمعى واللحيانى : يقال تَغَلَّلتُ بالغالية ، وتَغَلَّيت بها (١٠٣) .

٧ — رأى أبو على القالى فى تفسير قولهم : « حَسَن بِسَن » أن لفظ بَسَن من البسّ ، وأن النون بدل من حرف التضعيف ، لأن حروف التضعيف تبدل منها الياء مثل : تَظَنَّيت ، وتَقَصَّيت ، وأشباههما ، فلما كانت النون من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة وكانت من حروف البدل أبدلت من السين (١٠٤) . وإذا كان القالى لم يذكر من الصلة بين النون والياء

---

(٩٦) المصدر الابدال : ٢ / ٤٥٤
(٩٧) سورة البقرة : ٢٨٢
(٩٨) سورة الفرقان : ٥ والنص فى الابدال : ٢/٤٢١
(٩٩) الابدال : ٢/٩٣
(١٠٠) المصدر نفسه : ٢/٩٤ . والذرنوح : دويبة اكبر من الذباب شيئا .
(١٠١) المصدر نفسه : ٢/٢٩٢
(١٠٢) المصدر نفسه : ٢/٢٩
(١٠٣) المصدر نفسه : ٢/٤١٩
(١٠٤) الأمالى : ٢/٢١٦

سوى أنهما من حروف الزيادة والبدل فإنه ، على كل حال ، قد حاول تفسير هذه الكلمة فقاس النون على الياء فى جواز الإبدال من المضعف .

على أن كلام القالى لم يرق لأبى عبيد البكرى ، فتعقبه فى « التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه (١٠٥) » ، وزعم أن « تظنّيت أبدل لاجتماع ثلاثة أمثال ، وإنما فى « بسّن » مثلان ؛ فإن احتج محتج بقولهم : أمليت وأحسيت وأيما فى أمّا ، فهذا قليل ، وهو مع قلته أتى بالياء ولم يأت بالنون ألبتة . فكيف يقاس هذا على ما لم يسمع ؟ » .

والحق مع أبى على القالى لا مع أبى عبيد البكرى . ولن نكتفى فى تأييد أبى على بما انتهى إليه اللغويون المحدثون من تأكيد لوقوع « التغاير » بين أصوات اللغة ، ومن تأكيد الشبه بين النون وأخواتها (اللام والميم والراء) وأصوات اللين ، فى اتساع مجرى الهواء ، والشيوع فى الكلام ، والوضوح فى السمع ، بل نورد فى نقض كلام البكرى من الأمثلة التى لا تحتمل التأويل ما يدل على وقوع الإبدال من المضعفين ، فقد حكى سيبويه : وتَرَّعْرَنْد ، وحكى أبو عبيدة وأبو زيد : تُرُنْج . والتضعيف فيهما فى مثلين لا فى ثلاثة والمبدل نون ، وحكى الفراء : جلمط رأسه ، ونص على أن الميم زائدة (١٠٦) ، وهى — فى رأيى — بدل من تضعيف اللام .

وروى أبو الطيب : « الخَدَنَّق والخَدَرْنَق (١٠٧) بالتضعيف فى مثلين والمبدل راء . وروى : مَطَّ السير ومطاه ، أى مدّه ، وغذ الجرح وغذا . والمبدل ألف مد . وفى الصحاح : حَدْلق الرجل فى معنى حَدَّق (١٠٨) . والمبدل لام ، إلى

---

(١٠٥) ص : ١١٣
(١٠٦) الصحاح : جلط
(١٠٧) الابدال : ٢ / ٩٣
(١٠٨) الصحاح : (حدق)

غير ذلك من الأمثلة التى ذكرناها وسنذكرها ، وهى تشهد لأبى على ، وإن كان لم يذكر من الصلة بين النون والياء غير أنهما من حروف الزيادة والبدل .

٨ — أما ابن جنى فقد أورد « فى باب قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف » . قول العرب : تَسَرَّيت من لفظ سرر ، وقد أجالته الصنعة إلى لفظ سرى . ومثله : قَصَصْتُ أظفارى ، هو من لفظ قصص ، وقد آل بالصنعة إلى قصى ، وكذلك قوله (العجاج) :

• تَقَضِّىَ البازِى إذا البازى كَسَرْ •

فهو فى الأصل من تركيب قضض ، ثم أحاله ما عرض من استثقال تكرره إلى لفظ قضى . وكذلك قولهم : تَلَعَّيت من اللُّعاعة أى خرجت أطلبها وهى نبت ، أصلها لعع . . . وأشباه ذلك كثير (١٠٩).

٩ — قال اللغوى الأندلسى محمد بن أحمد بن هشام اللخمى فى كتابه « المدخل إلى تقويم اللسان » ، وهو يعرّف بصحة قول عامة الأندلس : إنْجاص بدل : إجّاص : « حكى الأستاذ أبو محمد ابن السيِّد (١١٠) — رحمه الله — أن قوماً من اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نوناً فيقولون فى إجّاص : إنجاص ، وفى إجّانة : إنجانة » . وقال ابن هشام : « فقول عامة زماننا : إنجاص ليس بلحن أيضاً ، لما حكاه اللغويون(١١١) » .

١٠ — ومن الأمثلة التى أبدل فيها من أحد الحرفين المضعفين راء أو لام ما رواه أحمد بن فارس فى « مقاييس اللغة » (١١٢) : الفَرْقعة تنقيض الأصابع . وهذا مما زيدت فيه الراء . وأصله : فقع . وما رواه الجوهرى فى

---

(١٠٩) الخصائص : ٢/٩٠ ، ٩١

(١١٠) فى كتابه « الاقتضاب » : ١٩٥

(١١١) المدخل : ورقة ٨ — أ

(١١٢) ٤/٥١٣

« الصحاح » (فطح) و (فرطح) : ورأس مُفَطَّح ورأس مُفَرْطَح ، أى. عريض ، وعليه قول الشاعر (ابن أحمر) :

خُلِقَتْ لَهازِمُهُ عِزِينَ ورأسُهُ كالقُرْصِ فُرْطِحَ من طَحِينِ شَعِير

وروى الجوهرى أيضاً : عُنْقُر الدار أصلها . . . وعُنْقُر القصب أصله ، بزيادة النون ، وعُنْقُر الرجل : عنصره (١١٣) ، وقال أيضاً : طَرَّح بناءه تطريحاً إذا طَوله جداً ، وكذلك طرمح بناءه ، والميم زائدة (١١٤)

ومن ذلك ما جاء فى الصحاح (حزق) : حَزَقْته بالحبل شددته ، والحازق الذى ضاق عليه خُفُّه . ثم : الحَرْزَقة : الضيِّق ، وحَرْزَقه : حبسه وضيَّق عليه .

تفسير حدوث اللحن فى ضوء ظاهرة التغاير :

أما بعد شرح ظاهرة التغاير ، والاحتجاج لها ، فقد آن لنا أن نفسر فى ضوئها ما جمعناه من الكتب الثلاثة ، وقيل إنه لحن :

١ — من « لحن العامة » للزبيدى :

تقول العامة : تَمَعْوَر فى كلامه ، والصواب : تَمَعْمَر (١١٥) .

والتطور الذى حدث هنا وفق قاعدة « التغاير » أن فى تمعر مثلين مضعفين فأبدل من أحدهما الواو .

ويقولون : عَدَنْبَس بدل : عَدَبَّس (١١٦) وكُرْناسة أى كُرَّاسة ،

(١١٣) الصحاح : (عقر)
(١١٤) الصحاح : (طرح)
(١١٥) تصحيح التصحيف (عن الزبيدى) : ١١٢
(١١٦) لحن العامة : ١٧١

ويقولون : كَرْنَسَت الكتاب كَرْنسة (١١٧) .

كما يقولون : قَنْبان بدل : قبّان وقَبّان (١١٨) .

وفى هذه الأمثلة تغاير ، حدث لاجتماع مثلين مضعفين فى كل منها ، فأبدل من أحدهما صوت شبيه بأصوات اللين ، وهو النون .

٢ — من « تثقيف اللسان » لابن مكى :

يقولون : قَصَّيْت أظفارى . وقد عدها ابن مكى صواباً لأنها مسموعة عن العرب (١١٩) ، والذى حدث فيها هو اجتماع ثلاثة أصوات متماثلة لأن أصلها : قصّصت فأبدلوا من أحدها الياء ، كما ذكر ابن جنى وغيره (١٢٠) .

ويقولون : قَرْنبيط بدل : قُنَّبيط (١٢١) . وقد حدث هنا تغاير فأبدل من إحدى النونين راء ، وهى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين .

ويقولون للشيء المنبسط : مفَرْطح . والصواب : مُفَلْطح باللام ، ويقال : مُفَطَّح أيضاً . وحكى أبو زيد : مُفَرْطح (١٢٢) .

والأصل فى هذه الأمثلة : مُفَطَّح بالطاء المشددة ، فأبدل من أحد المثلين أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، فصارت إما « مُفَرْطح » بالراء ، وإما « مُفَلْطح » باللام ، وهما سواء ، وقد روى الجوهرى : مُفَطَّح ومُفَرْطح ، وزاد ابن برى : مفلطح .

ويقولون : ضربته فقنطرته ، والصواب : قَطَّرته (١٢٣) . وما حدث

---

(١١٧) لحن العامة : ٦٩
(١١٨) المصدر نفسه : ١٠١
(١١٩) تثقيف اللسان : ٢٣١
(١٢٠) الخصائص : ٢/٩٠
(١٢١) تثقيف اللسان : ١٠٧
(١٢٢) تثقيف اللسان : ٨٥
(١٢٣) المصدر نفسه : ١٠١

هنا هو تطور أحد الصوتين المضعفين وإبداله نوناً ليتم التغاير بينهما .

ومثله قولهم للأترج : تُرُنْج ، وقد ذكر ابن مكى أنه يقال : أتْرُج وهى الفصحى ، وأتْرُنْج ، وحكى أبو زيد : تُرُنْج (١٢٤) .

ويمكن أن يكون من ذلك قولهم : تَخَلْقَنَتْ ثيابه . والصواب : خَلُقَتْ وأخْلَقَت (١٢٥) .

ولعلها نطقت : تَخَلَّقَت ، ثم أبدل من أحد الصوتين المضعفين صوت شبيه بأصوات اللين وهو النون فصارت تخلنقت ، وتطورت إلى تخلقنت ، بالنقل المكانى .

٣ — من « تقويم اللسان » لابن الجوزى » :

يقولون : تُرُنْج وتُرُنْجة ، فى : أتْرُج وأتْرُجة ، ولم يجز ابن الجوزى نطق العامة كما فعل ابن مكى .

ويقولون : إنجاص ، وإنجانة ، بدل : إجَّاص ، وإجَّانة (١٢٦) .

والذى حدث فى الأمثلة السابقة هو إبدال النون من أحد الصوتين المتماثلين .

ويقولون للخشبة التى فى رأسها حجنة : عُرْقافة ، وصوابها : عُقَّافة (١٢٧) .

وما حدث هنا هو إبدال الراء — وهى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين — من أحد الصوتين المتماثلين ليتم التغاير بينهما .

---

(١٢٤) ص : ٢٣١

(١٢٥) تثقيف اللسان : ٢٢٠ وقد رويت تخلقنت أيضا عن عامة الأندلس (تصحيح التصحيف : ١٠٦)

(١٢٦) تقويم اللسان : ٨٧

(١٢٧) المصدر نفسه : ١٥٨

ويقولون للشيء المنبسط : مبرطح . قال ابن الجوزى وأصله : مبلطح (١٢٨)، وقد سبق أن فسرنا ما بها من تغاير . أما مُبَرْطَح بالباء فسنذكره فى إبدال الباء باء فى هذا الفصل .

استنتاج :

ونخلص مما سبق إلى تقرير الحقيقتين التاليتين :

١ — أن ظاهرتى التماثل بين الأصوات المتجاورة ، والتغاير بين الأصوات المتماثلة فى اللغة ، حقيقتان قررهما اللغويون المحدثون واعترفوا بأثرهما فى التطور الصوتى فى جميع اللغات . كما أورد اللغويون القدماء أمثلة مروية عن العرب أمكن تخريجها على أساس مبدأى « التماثل والتغاير » .

٢ — أن الأمثلة التى وردت فى الكتب الثلاثة وخرجناها على قاعدتى التماثل والتغاير ، يمكن قياسها على مثيلاتها مما رواه اللغويون العرب واعترفوا بصحته .

* * *

ثانياً — التقارب بين الأصوات فى المخرج أو الصفة :

من الظواهر اللغوية المقررة عند اللغويين القدماء والمحدثين ، وقوع الإبدال بين الأصوات المتقاربة مخرجاً أو صفة ، وهو تطور طبيعى فى أصوات كل لغة . وهو فى العربية كثير مشهور على حد قول ابن فارس : « من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون : مَدَحَه ومدهه ، وفرس رِفَلٌّ ورِفَنٌّ وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء (١٢٩) » .

وفى كتب لحن العامة كثير من الكلمات التى نبه المؤلفون على خطئها ، وعند

---

(١٢٨) تقويم اللسان : ١٨٧

(١٢٩) الصاحبى : ٢٠٣

التحقيق يتبين أن ثمة صلة صوتية طبيعية بين الكلمة الأصلية وبديلتها الملحونة، وأن القوانين الصوتية تجيز ما حدث فيها من تطور نتيجة لقرب المخرج ، أو الاشتراك فى الصفة .

وقد جمعنا هذه الكلمات ، وربطنا بين كل صوتين رأينا أن أحدهما أبدل من صاحبه ، ودعمنا ربطنا بكلمات رويت فى كتب اللغة وفيها إبدال مماثل للكلمات التى حكم عليها بالخطأ . وهذه هى :

١ — بين الأصوات الشفوية :

الباء والميم : مخرج كل منهما من الشفتين ، تتخذ الشفتان وضعاً واحداً عند النطق بأى منهما ، وكلاهما مجهور ، غير أن مجرى الهواء مع الميم من الأنف ومع الباء من الفم ، والباء صوت شديد والميم متوسط بين الشدة والرخاوة (١٣٠).

وفى اللغة العربية كلمات كثيرة تشترك كل اثنتين منها فى الباء والميم مع اتفاقهما فى المعنى . ومن ذلك : الظَّأب والظَّأم : سلف الرجل (١٣١) . والرِّبا والرما ، والرُّجْبة والرُّجْمة : ما تعمد به النخلة لئلا تقع ، وسَبَّد شعره وسَمَّده : حلقه ، والساسَم والساسَب : شجر ، وضربة لازم ولازب ، وهو يرمى من كَشَب ومن كَشَم ، أى من قرب ، وعَجْب الذنب وعَجْمه (١٣٢) .

وقد وجدت فى الكتب الثلاثة موضع الدراسة خمسة أمثلة من هذا النوع ، ولكنى لحظت أن عامة الأندلس وعامة صقلية ، أبدلوا من الميم باء دون العكس .

فمن « لحن العامة » للزبيدى ، أن أهل الأندلس يقولون عند تحقيق القول :

---

(١٣٠) الأصوات اللغوية : ٤٦ ، ١٣٢ وعلم اللغة للسعران: ١٦٧، ١٨٤

(١٣١) المزهر : ١/٤٦٣

(١٣٢) المصدر السابق .

إن لم يتحقق ذلك فانبصها ، يعنى اللحية . والصواب : فانمصها بالميم ، من نمص الشعر أى نتفه(١٣٣) .

وتفسير ذلك صوتياً أن النون فى « انمصها » جاورت الميم ، ومقتضى هذه المجاورة بين النون والميم بالذات وكلاهما أنفى ، أن تفنى النون فناء تاماً فى الميم (١٣٤) ولعل الرغبة فى عدم فناء النون أدت إلى قلب الميم إلى نظيرها من أصوات الفم ، وهو الباء .

ومن هذه المادة نفسها قول عامة صقلية : صقلبى منبوص ، بدل : منموص (١٣٥) .

كما يقول عامة صقلية : بَشيمة ، ويجمعونها : بشايم ، بدل : مشيمة ومشايم (١٣٦) .

ويقولون : خَبَشت وجهه ، بدل : خَمَشت وخمَّشت فى التكثير (١٣٧)

أما عند العامة فى المشرق — فيما رواه ابن الجوزى — فالمثالان فى اللحن بالميم ، وفى الصواب الذى اختاره هو بالباء ، فهم يقولون : خرمش الكتاب أى أفسده ، بالميم بدل : خربش بالباء (١٣٨) .

ولعل الأصل فى خبش وجهه ، وخرمش الكتاب واحد ، وهو خَمَش وخَمَّش عند التكثير ، كما ذكر ابن مكى (١٣٩) ووفقاً لقاعدة التغاير التى قدمناها فيما سبق استبدل بأحد الصوتين المضعفين فى خمش أحد الأصوات

---

(١٣٣) لحن العامة : ٥٨
(١٣٤) الأصوات اللغوية : ٦١
(١٣٥) تثقيف اللسان : ٧٩
(١٣٦) المصدر نفسه : ٧٩
(١٣٧) المصدر نفسه : ٧٩
(١٣٨) تقويم اللسان : ١٢٢
(١٣٩) تثقيف اللسان : ٧٩

الشبيهة بأصوات اللين ، وهو الراء فصارت : خرمش ، واستبدلت الباء بالميم في لهجة ثانية ، فالراء زائدة في الحالين ، والمعنى واحد ، في الخبش والخمش إفساد في الوجه والكتاب وشبههما .

وذكر ابن الجوزي مثالا آخر لقلب الباء ميما ، إذ يقولون : « لغة عِمْرانية بدل : عبرانية »(١٤٠) .

٢ ـ بين الصوت الشفوي والشفوي الأسناني :

الباء والفاء : الباء ـ كما قدمنا ـ صوت شفوي شديد مجهور ، أما الفاء فهي صوت شفوي أسناني ، رخو مهموس ، يتكون بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا ، بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا . فالصوتان متقاربان مخرجاً . ومن إبدالهما روى ابن سيده : الخزَف والخزَب ، قال : والباء يمانية (١٤١) .

وفي « لحن العامة » للزبيدي مثال واحد من هذا الباب ، حيث يقولون : جاء بلا تَربُّق بدل : بلا ترفق (١٤٢) .

أما « تقويم اللسان » لابن الجوزي فنميه أربعة أمثلة قيلت بالباء بدل الفاء ، اثنان منها معربان ، واثنان عربيان :

فالمعربان قولهم : بَرْبَنْد بدل فِرْوَنْد (وهو حزام ينطق به من يصعد النخل) وبوتَنك بدل فُوتَنْج (وهو نبت طيب الرائحة) . وهذان الحرفان في الفارسية بالباء المهموسة . ويقصد ابن الجوزي بالصواب ما جاء في تعريب العرب هاتين الكلمتين وأمثالهما ، كبِرند السيف ، وبَروانك ، حيث قالت العرب فيهما : فِرِنْد ، وفَرْوَانَق . والعرب تجعل الحرف الذي بين الباء والفاء

---

(١٤٠) تقويم اللسان : ١٥٨

(١٤١) المخصص : ١٢٥/٥

(١٤٢) تصحيح التصحيف : ١٠٧ ولحن العامة : ٢٢٥

(وهو الباء المهموسة P) فاء فى التعريب (١٤٣) وقد يجعلونه باء (١٤٤).

والكلمتان العربيتان قولهم : نَبِيتَة بدل : نَفِيتَة ، وهى سُفْرة من خوص يوضع عليها اللحم أو الجبن ونحوهما فى الشمس ليجف . وكذلك قولهم : مبرطح بدل : مفطح أو مفلطح . وقد بينا فيما سبق ، أن فى هذا المثال زيادة اللام أو الراء وفق قاعدة « التغاير » .

٣ — بين الصوت الشفوى الأسنانى والصوت الأسنانى :

الفاء والثاء : الفاء صوت رخو مهموس ، مخرجه من بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا(١٤٥) . والثاء كذلك صوت رخو مهموس ، مخرجه من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا (١٤٦) .

فالصوتان متقاربان مخرجاً وصفة ، ولهذا وردت فى كتب اللغة أمثلة كثيرة أبدل فيها أحدهما من الآخر ، مثل : الفُوم والثُوم ، وقرئ (وقِثَّائها وفُومِها) ، والقراءة المشهورة : وفُومِها ، والجَدَف : التمر وهو إبدال الجدَث . قال الفراء : « العرب تعقب بين الفاء والثاء فى اللغة ، فيقولون : جَدَث وجَدَف ، وهى الأجداث والأجداف (١٤٧) . وكذلك المُغْثُور لغة فى المُغْفور ، وهو شىء ينضحه العُرْفُط والرِّمْث مثل الصمغ (١٤٨) ومنه : الحُثالة والحُفَالة ، والأثافِىُّ ، ولغة بنى تميم : الأثاثِىُّ ، وثُمَّ وفُمَّ (١٤٩) .

---

(١٤٣) كتاب سيبويه : ٣٤٣/٢
(١٤٤) المزهر : ٢٧٤/١
(١٤٥) الأصوات اللغوية : ٤٧
(١٤٦) المصدر نفسه : ٤٨ وعلم اللغة للسعران : ١٩٠
(١٤٧) الصحاح (جدف)
(١٤٨) الصحاح (غثر)
(١٤٩) المزهر : ٤٦٥/١

وفى ضوء هذا يمكن تفسير ما ذكره ابن مكى من أن عامة صقلية يقولون لمن سقطت ثنيته : أفْرَم والصواب : أثْرَم (١٥٠) ويقولون : فُمٌّ بدل : ثُمٌّ . وهذه أجازها ابن مكى ، قال : « وذلك جائز عند العرب غير منكر (١٥١) » .

٤ — بين الأصوات الأسنانية :

الذال والظاء : كلاهما صوت أسنانى رخو مجهور ، ويتكونان بطريقة واحدة فيما عدا شكل اللسان مع كل منهما « فى حالة النطق بالظاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك، ويتقعر وسطه ، كما يرجع اللسان إلى الوراء قليلا ، ولذلك اعتبر القدماء الظاء أحد أصوات الإطباق (١٥٢) » ، فالظاء صوت مطبق نظيره المنفتح هو الذال .

ومن إبدالهما روى : شِنْظِير وشِنْظيرة(١٥٣) : سيء الخلق وكذلك شِنْذِيرة وهى فى رأى الجوهرى لغة أو لُثغة .

وحكى أبو الطيب اللغوى : أقبلت المرأة تخنظى وتخنذى ، إذا رفعت صوتها بالوقيعة ، وامرأة خِنْذِيان ، وخِنْظيان ، إذا كانت تسخر من الناس ، وتوسّد بينهم ، وتقع فيهم (١٥٤) .

وفى ضوء هذا يمكن تفسير قول عامة الأندلس وصقلية .

---

(١٥٠) تثقيف اللسان : ٨١
(١٥١) نفســـه : ٢٣٠
(١٥٢) الأصوات اللغوية : ٤٨ ، ٤٩
(١٥٣) الصحاح (شنظر)
(١٥٤) الإبدال : ٢ / ٢٠

مسك أظفر بدل أذفر (١٥٥)، وقول عامة الأندلس: شَطّ الفرس بدل: شَدّ (١٥٦).

٥ — بين الأصوات الأسنانية اللثوية :

التاء والدال : كلاهما صوت أسنانى لثوى ، ومخرجهما واحد ، عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا . والفرق بينهما أن الدال صوت مجهور نظيره المهموس هو التاء (١٥٧) .

ومن إبدالهما ما روى عن ابن السكيت : مد فى السير ومَتّ ، والسدّى والستّى ، لسدى الثوب ، وسَبَنْتَى ، وسَبَنْدى ، للنمر (١٥٨) .

ومن ذلك قول عامة صقلية : ثوب دُسْتَرِىّ بدل : تُسْتَرِىّ ، نسبة إلى تُسْتَر (بلد) . وقولهم : تَستيجة بدل : دَستيجة (١٥٩) . وقول عامة بغداد : تخاريس القميص ، بدل : دَخاريص (١٦٠) .

التاء والطاء : كلاهما صوت أسنانى لثوى شديد ومخرجهما واحد ، وهو عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، غير أن الطاء صوت مطبق يتخذ اللسان معه شكلا مقعرًا ، وهى حسب وصف القدماء صوت مجهور والتاء صوت مهموس ، فانتقالها إلى التاء يتطلب ترقيقها وتهميسها .

ومن أمثلة إبدالهما : الأقطار والأقتار : النواحى . وطَيِن وتَيِن (١٦١)

---

(١٥٥) لحن العامة : ١٩٦ وتثقيف اللسان : ٨٤
(١٥٦) تصحيح التصحيف : ٢٠١
(١٥٧) الأصوات اللغوية : ٤٩ ، ٥١
(١٥٨) المزهر : ١/٤٦٤
(١٥٩) تثقيف اللسان : ٨٠
(١٦٠) تقويم اللسان : ١٢٣
(١٦١) المزهر : ١/٤٦٤

وبهذه المضاهاة بين الباء والطاء تفسر قول عامة الأندلس للعود الذى يتبخر به كُسُمْت بدل : كُسُمْط (١٦٢) . وطَبَخْت الثياب بدل : تبخت (١٦٣) . وقول عامة صقلية وعامة بغداد : مَنْبَقة بالباء بدل : منطقة (١٦٤) .

الطاء والدال : الطاء المجهورة — كما وصفها القدماء — مقاربة للدال فى المخرج والشدة والجهر ، ولا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مطبق نظيره المنفتح هو الدال ، كما يدل قول سيبويه : « لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها(١٦٥) » .

وروى من إبدال الطاء والدال قول الأصمعى : يقال لما اطمأن من الأرض : وَهْطَة ، وهى لغة فى : وَهْدَة (١٦٦) . ومَطَّ حاجبيه ومَدَّهما(١٦٧)

وبهذا يفسر قول عامة الأندلس لدابة تألف المياه : جُخْطَب وصوابها : جُخْدَب بالدال(١٦٨) . وقولهم لضرب من الحارى : قُبَّيْد بدل : قُبَّيْط (١٦٩) وقول عامة صقلية : رجل مُلِدٌّ بدل : مُلِطٌّ (١٧٠) .

الضاد والطاء : كلاهما صوت مطبق مجهور ، ومخرجاهما متقاربان ، فالضاد — كما وصفها سيبويه — من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس غير أن مجرى الهواء معها جانبى ، من جانب الفم الأيسر أو الأيمن ، كما قال

---

(١٦٢) لحن العامة : ١١٦
(١٦٣) تصحيح التصحيف : ٢١٧
(١٦٤) تثقيف اللسان : ٨٠ وتقويم اللسان : ١٨١
(١٦٥) كتاب سيبويه : ٤٠٦/٢
(١٦٦) الصحاح (وهط)
(١٦٧) الصحاح (مط)
(١٦٨) لحن العامة : ٩١
(١٦٩) المصدر نفسه : ١٣٧
(١٧٠) تثقيف اللسان : ٨٣

ابن جنى (١٧١) .

والضاد — كما وصفوها — صوت رخو ، وقد تخيل الدكتور إبراهيم أنيس نطقاً للضاد القديمة حسب وصف القدماء ، بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة — وهى صوت شديد لا رخاوة فيه — ثم ينتهى نطقة بالظاء — فهى إذن مرحلة وسطى ، فيها شىء من شدة الضاد الحديثة ، وشىء من رخاوة الظاء العربية ، ولذلك قد عدها القدماء من الأصوات الرخوة (١٧٢) .

أما مخرج الطاء فمن بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، وهى صوت شديد .

فانتقال الضاد إلى الطاء يتم بانتقال مخرج الضاد إلى مخرج الطاء — وهما متقاربان — وبتغير صفة الرخاوة فى الضاد إلى الشدة . أما صفة الجهر فقد جمع القدماء بينهما فيها ، وإن كانت الطاء التى ينطق بها الآن — فى القراءات القرآنية — مهموسة . والضاد مجهورة شديدة .

وبهذا نفسر تطور الضاد إلى طاء فى قول عامة صقلية لما حول المدينة : رَبَط وصوابه : رَبَض (١٧٣) .

وهو شبيه بما رواه أبو حاتم عن أبى عبيدة : قوس ضَرُوح وطَرُوح ، وضَرَحه وطَرَحه (١٧٤) .

الضاد والدال : وقد تطورت الضاد إلى صوت آخر شديد مجهور هو النظير المنفتح للطاء العربية — كما وصفها القدماء — أعنى الدال . حيث يقول

---

(١٧١) سر صناعة الاعراب : ٥٢/١

(١٧٢) الاصوات اللغوية : ٥٠

(١٧٣) تثقيف اللسان : ٩٠

(١٧٤) الابدال لابى الطيب اللغوى : ٢٦٥/٢ والصحاح (ضرح ، طرح) والقوس الضروح : شديدة الحفز للسهم .

عامة صقلية : غردرف بدل غرضوف أو غُضْروف (١٧٥) .

٦ ــ بين الأسنانية والأسنانية اللثوية :

الضاد والظاء : إذا كانت الضاد ــ على ما وصف القدماء ــ صوتاً رخواً ، مجهوراً ، جانبياً ، مطبقاً ، يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس . . . وإذا كانت الظاء مثلها فى الرخاوة والجهر والإطباق ، ومخرجها من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ــ فمن اليسير انتقال أحد الصوتين إلى مخرج الآخر ، ولعل نطق الظاء هو الأيسر ، وهذا يفسر لنا ما حدث فى بيئة صقلية فى القرن الخامس الهجرى من نطق الضاد ظاء« حتى لا تكاد ترى أحداً ينطق بضاد ولا يميزها من ظاء ، وإنما يوقع كل واحدة منهما موقعها ويخرجها مخرجها الحاذقُ الثاقبُ إذا كتب أو قرأ القرآن لاغير . فأما العامة وأكثر الخاصة فلا يفرقون بينهما فى كتاب ولا قرآن (١٧٦) » .

وهذا يؤيد ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس من أن« الضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالى الأقطار التى فتحها العرب ، أو حتى على بعض القبائل العربية فى شبه الجزيرة (١٧٧) .

فالضاد العربية العسيرة النطق قد تطورت فى بيئة صقلية إما إلى :

١ ــ الظاء وهو الأكثر والأشهر .

٢ ــ الطاء ولعلها كانت تشبه الضاد الحديثة ، حيث يقولون : رَبَطَ فى : ربَض . وقد بينا ذلك .

٣ ــ الدال فى قولهم : غُرْدُوف بدل غُرْضُوف ، أو غُضْروف .

---

(١٧٥) تثقيف اللسان : ٨٣

(١٧٦) المصدر نفسه : ٩١

(١٧٧) الأصوات اللغوية : ٥٠

ونرى مثل هذا التطور فى لهجاتنا الحديثة :

١ — فهى تنطق صوتاً شبيهاً بالظاء (أى أسنانيا رخوًا ، مجهورًا ، مطبقاً) فى بعض البيئات العربية ، كالعراق ، والخليج العربى ، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية ، والصحراء الغربية فى جمهورية مصر العربية .

٢ — وتنطق صوتاً مجهورًا شديدًا ، مطبقاً ، مخرجه من بين طرف اللسان وأصول الثنايا . وهو ما يسمى الضاد الحديثة . وهذا النطق هو المعهود فى القراءات القرآنية الآن فى مصر .

وهذا الخلط بين الضاد والظاء هو الذى دعا ابن مكى إلى أن يقول : « هذا رسم قد طمس ، وأثر قد درس ، من ألفاظ جميع الناس خاصتهم وعامتهم ....وهو باب واسع ، وأمر شاسع ، إن تقصّيته أخرجت الكتاب عن حده (١٧٨)».

هذا الخلط قديم دعا ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، إلى أن يؤلف أرجوزة فى الضاد والظاء (١٧٩) . كما ألف الحريرى (ت ٥١٦ هـ) قصيدة فى الفرق بين الضاد والظاء ، وهى فى المقامة الحلبية (السادسة والأربعين) (١٨٠) وألف ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) كتاباً سماه « الاعتضاد فى معرفة الظاء والضاد » نقل عنه السيوطى فى « المزهر » ، المواضع التى يتعين فيها الضاد ، والمواضع التى يتعين فيها الظاء ، والمواضع المشتركة (١٨١) . . . إلى غير ذلك مما يدل على شيوع الخلط بين هذين الصوتين من العصور المتقدمة حتى الآن .

التاء والثاء والدال والذال :

تتفق صورة كل اثنين من هذه الأحرف ، فيما عدا عدد النقط فى الأولين ، والإعجام وعدمه فى الآخرين ، ولذلك كان احتمال وقوع التصحيف فيها

---

(١٧٨) تثقيف اللسان : ٩١

(١٧٩) نشرها داود جلبى فى مجلة لغة العرب : ٦١/٧ — ٦٣

(١٨٠) مقامات الحريرى (طبولاق) : ٢٧٦

(١٨١) المزهر : ٢٨٢/٢ — ٢٨٥

راجحاً . وفى الوقت نفسه يسوغ من الناحية الصوتية أن ينتقل مخرج الثاء والذال إلى الوراء قليلا ، وتتغير صفتهما من الرخاوة إلى الشدة فتنطق الثاء تاء ، وتنطق الذال دالا ، كما حدث فى اللهجات العربية الحديثة فى كثير من المناطق ، أو يبقى الصوت رخواً مع رجوع مخرجه إلى الوراء أيضاً فتنطق الثاء سينا كما فى « مسل من الأمسال » فى اللهجة القاهرية (أى مثل من الأمثال) وتنطق الذال زايا كما فى « يزاكر » فى لهجة القاهرة ، وكما ذكر أبو الطيب اللغوى أن الأصمعى روى قول العرب : ذرق الطائر وزرق ، وعن غيره : بذرت البذر وبزرت البزر ، وغير ذلك (١٨٢) .

وبه نفسر قول ابن الجوزى عن عامة بغداد : يقولون : بزر وبزور ، وزفر ، بدل : بذر وبذور ، وذفر (١٨٣) .

ولهذين الاحتمالين أعنى التصحيف وتغير المخرج والصفة ، رأينا الكلمات التى وردت فى كتابى ابن مكى وابن الجوزى وفيها هذه الأحرف ، لا تتخذ شكلا واحداً يحدد لنا اتجاه البيئة ، فمنها كلمات بالثاء نطقها العامة بالتاء ، وكلمات بالتاء نطقت بالثاء ، وكذلك الدال والذال .

ووفقاً لنظرية السهولة فى النطق وأثرها فى تطور الأصوات (١٨٤) ، نرجح تطور الثاء والذال إلى التاء والدال لا العكس ، إذ أن الأيسر أن تنتقل الأصوات من الرخاوة إلى الشدة ، كما حدث للذال والثاء والظاء ، إذ أصبحت فى لهجاتنا الحديثة — فى الغالب — دالا وتاء وضاداً . وفى توجيه ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « لأن الأسهل على اللسان أن يصطدم بالحنك ، ويلتقى النقاء محكماً ينحبس معه النفس — وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة

---

(١٨٢) الابدال : ٦/٢

(١٨٣) تقويم اللسان : ٩٨ ، ١٢٨

(١٨٤) راجع الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس : ١٧٤

كالتاء — من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك، ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث فى الأصوات الرخوة (١٨٥) » .

لهذا نميل إلى أن النطق بالتاء فى الكلمات الآتية ، التى ذكرها ابن مكى فى باب التصحيف (١٨٦) سببه تطور الثاء إلى التاء ، وليس التصحيف ، وهى قولهم :

تار بدل : ثأر . وعتنون بدل عثنون . وتفنة الفرس بدل : ثفنة . وتفر الدابة بدل : ثفر .

ومنه ما ذكره ابن الجوزى من قولهم : تجير بدل : ثجير ، وتيتل بدل : ثيتل (١٨٧) .

والأمثلة التى ذكرا أنهم يقولونها بالثاء ، وهى بالتاء كقولهم : ثئل ، وقد اشترك فيه أهل صقلية وبغداد . وقول عامة صقلية : ثيثل والرثيلى ، ومرثاث ، ورثة والرثم ، ولث السويق ، وثوى المال ، وثوأم ، بدل : الثيتل ، والرثيلى ومرثات ورثة ، والرثم ، ولث السويق ، وثوى المال ، وثوأم . وهذه كلها ذكرها ابن مكى فى باب التصحيف .

هذه الأمثلة يفسر تطورها بأنه : إما أن يكون محاولة لإظهار الفصاحة من بعض الخاصة الذين خفى عليهم اللفظ العربى الأصلى ، فلم يميزوا أهو بالتاء أم بالثاء ، فاختاروا الثاء وهى الأصعب لأنها مظهر من مظاهر الفصحى . وإما أن تكون هذه الأمثلة وقعت فى بعض النصوص وقرئت مصحفة .

كما نميل أيضاً إلى أن النطق بالذال دالا فى الكلمات الآتية ناجم عن التطور الصوتى لا التصحيف ، وهى قول العامة فى الأندلس ، وصقلية ، وبغداد :

---

(١٨٥) الأصوات اللغوية : ١٧٦

(١٨٦) الباب الأول من تثقيف اللسان

(١٨٧) تقويم اللسان : ١٠٨

جَرَد ، لمرض يصيب قوائم الدابة ، وقول عامة الأندلس وصقلية : تَدَعدَع البناء بدل : تدعذع . وقول عامة صقلية وبغداد : الزُّمرُّد والناجد والنواجد ، بدل : الزُّمرَّذ والناجذ والنواجذ .

وقول عامة صقلية : جرد للغمار وجردان بدل : جُرذ وجرْذان ، وودَح بدل : وذَح ، وملح دَرآنى بدل : ذَرآنى ، وجدر بدل : جذر ، وجَبَد الحبل بدل : جبذه وجذبه ، وقنفد بدل : قنفذ ، ومُدَبْدَب بدل : مذبذب ، وجُدام بدل : جُذام ، ودحْل بدل : ذَحْل ، ودُخْر بدل : ذُخْر ، والجديدة بدل : الجذيذة (السويق) والدلْغاء (علم) بدل : الذلفاء (١٨٨) ، والآزاد (ضرب من التمر) بدل : الآزاذ وكذلك قول عامة بغداد : شِرْدِمة بدل : شِرْذمة ، ودِقن بدل : ذَقَن (١٨٩) .

أما النطق بالدال ذالا — كما فى الأمثلة الآتية — فهو إما محاولة لإظهار الفصاحة من بعض الخاصة ، كما بينا فى الثاء ، وإما تصحيف وقع فى بعض الكتب .

فالأمثلة التى ذكرها ابن مكى فى باب التصحيف هى : الشِذْق ، جَذْب (فى مقابل خصب) جذعت أنفه ، انتذب فلان لكذا ، شذخت أنفه ، ذميم (أى قبيح) ، مُعَرْبِذ ، هَوْذَج ، اذرءوا الحدود بالشبهات ، شَمَرْذل ، والصواب فيها كلها بالدال المهملة .

والأمثلة التى ذكرها ابن الجوزى هى : دميم (بمعنى قبيح) ذُعَّار ، أى دعار (من الدعارة) العاذلون بالله ، أى الذين يعدلون به غيره (١٩٠) .

---

(١٨٨) تثقيف اللسان : باب التصحيف (الدال والذال)
(١٨٩) تقويم اللسان : ١٤٥ ، ٨٨ ، ١٢٨
(١٩٠) المصدر نفسه : ١٢٦ ، ١٥٦

ولعل خطأ أهل صقلية وأهل بغداد فى ذميم هو أنهم وضعوه موضع دميم، بسبب ظنهم أنه من الذم لا من الدمامة .

٧ — الأصوات الذلقية (الراء واللام والنون) :

ربط اللغويون القدماء والمحدثون بين هذه الأصوات الثلاثة فهى عند القدماء « من حيز واحد وبعضها أرفع من بعض (١٩١) » ، وهى ذَلَقِيَّة نسبة إلى ذَلَق اللسان أى طرفه (١٩٢) . وإن كانت التسمية غير دقيقة لأن طرف اللسان ليس مقصورًا على هذه الثلاثة ، وهى بين الشديدة والرخوة (١٩٣) . وكلها مجهورة .

وأثبتت تجارب المحدثين أن القدماء كانوا على حق فى الربط بين هذه الأصوات الثلاثة ، ذلك أنها مع قرب مخارجها تشترك فى أنها من أوضح الأصوات الساكنة فى السمع ، وفى أن مجرى الهواء معها يتسع فلا نكاد نسمع لمرور الهواء معها أى صفير أو حفيف ، كما تشترك فى سهولتها وكثرة دورانها على الألسنة وشيوعها فى الكلام .

وهى لهذه الصفات تشبه أصوات اللين ، وتسمى — ومعها الميم — الأصوات المائعة (١٩٤) .

ولهذا لا نجد غرابة فى الأمثلة الكثيرة المروية فى كتب اللغة مشتركة بين

---

(١٩١) شرح المفصل للزمخشرى (شرح ابن يعيش) : ١٠/١٢٨، ١٣٠

(١٩٢) المصدر نفسه : ١٠/ ، ١٢٩

(١٩٣) كتاب سيبويه : ٤٠٥/٢ وسر صناعة الاعراب : ٦٩/١ وشرح المفصل : ١٢٩/١٠

(١٩٤) راجع ماسبق عنها صفحة : ٢٦٠ .

الراء واللام ، والنون واللام ، والراء والنون ، وسأورد فيما يلي طرفاً منها ، قبل إيراد الأمثلة التي عدت من اللحن في الكتب الثلاثة موضع الدراسة :

من إبدال الراء واللام : زرّفت إليك وزلفت ، دنوت (١٩٥) ، هدّر الحمام وهدّل ، إذا غرد (١٩٦) ، ونثر عليه درعه ونثلها ، إذ إذا لبسها (١٩٧) جرّم الشيء وجلّمه ، قطعه (١٩٨) وسهم أمرط وأملط ، لا ريش عليه (١٩٩) . وربكت الطعام ولبكته ، إذا خلطته (٢٠٠) ومُجلّف ومجرّف ، إذا ذهب شيء من ماله (٢٠١) . إلى غير ذلك .

ومن إبدال اللام والنون: هتلت السماء وهتنت(٢٠٢). وأشد سوادًا من حلك الغراب وحنك الغراب(٢٠٣). وعُنوان الكتاب وعُلْوانه (٢٠٤) وخامِل وخامن . وقد اعترف الزبيدي بهذا الإبدال وقال « والنون هنا داخلة على اللام لتقارب مخرجيهما » (لحن العامة : ١١٣) . ومن إبدال الراء والنون رقّشت الشيء ونقّشته (٢٠٥) . وكر الطائر ووكنه (٢٠٦) ومن المشترك بين الثلاثة : سدّل الستر (٢٠٧) ، وسدّره وسدنه (٢٠٨) .

---

(١٩٥) الابدال لأبي الطيب اللغوي : ٢ — ٥٨
(١٩٦) المصدر نفسه : ٢/٥٩
(١٩٧) المصدر نفسه : ٢ — ٦١
(١٩٨) المصدر نفسه ٢ — ٦١
(١٩٩) المصدر نفسه : ٢ — ٦٤
(٢٠٠) المصدر نفسه : ٢ — ٧١
(٢٠١) المصدر نفسه : ٢ — ٧٠
(٢٠٢) المصدر نفسه : ٢ / ٣٨٢
(٢٠٣) المصدر نفسه : ٢ — ٣٩٦
(٢٠٤) المصدر نفسه : ٢ — ٣٩٧
(٢٠٥) المصدر نفسه : ٢ — ٩١
(٢٠٦) المصدر نفسه : ٢ — ٩٢
(٢٠٧) المصدر نفسه : ٢ — ٧٢
(٢٠٨) المصدر نفسه : ٢ — ٩٤

وفى ضوء ما سبق نفسر ما جاء فى الكتب الثلاثة :

الراء واللام :

يقول عامة الأندلس لناقد الدراهم : قُسطال ، وقَسطالة للصناعة بدل : قُسطار وقَسطرة (٢٠٩) . والقَلَسطُون بدل : القَرَسطون للميزان العظيم (٢١٠) وزجَرت الدابة بجنبيها ، بدل : زَجَلت (٢١١) ومسامير فِتْلية بدل : فِتْريّة (٢١٢) .

ويقول عامة صقلية : زجرت الدابة بولدها ، كأهل الأندلس ، بدل : زجلت ، وقبيلة بَرغْواطة وهى بَلَغْوطة ، ومُمَرْطح بدل : مُمَلْطح (٢١٣).

ومن ذلك قول عامة بغداد : خشر بدل : خشل ، وجاء يطحل بدل : يطحر ، وديار براقع (٢١٤) بدل : بلاقع ، وبصل العنصر بدل : العُنصُل ، ونشَر كنانته بدل : نثل ، والقَرْطَبان بدل : الكَلْتبان ، وشيء مبَرْطح بدل : مُفَلْطح (٢١٥) .

اللام والنون :

من ذلك قول عامة الأندلس : فى الطعام زُوَال بدل : زُوَان (٢١٦) ، ولا رَنْج بدل : نارَنْج (٢١٧) .

---

(٢٠٩) لحن العامة : ١٠٠

(٢١٠) المصدر نفسه : ١٠٠

(٢١١) المصدر نفسه :

(٢١٢) تصحيح التصحيف للصفدى : ٢٤٢

(٢١٣) تثقيف اللسان : ٨٥

(٢١٤) تقويم اللسان : ١٢٠ ، ٢٠٦ ، ١٠٠

(٢١٥) تقويم اللسان : ١٥٨ ، ١٩٨ ، ١٧٥ ، ١٨٧

(٢١٦) لحن العامة : ١٧٦

(٢١٧) تصحيح التصحيف : ٤٥ ويقولون أيضا : آرنج .

وقول عامة صقلية : قمح كثير الزوال بدل : الزؤان ، وأدان الله لنا على العدو بدل : أدال ، وقولهم للمزمار زُلامى وهو منسوب إلى زُنام (علم) ، وفَيْجل (نبت) بدل : فَيجَن (٢١٨) ، وقد استدرك ابن هشام اللخمي على ابن مكي في المثال الأخير بقوله : « حكى المطرِّز في كتاب الياقوتة فَيجِلاً وفَيجَناً (٢١٩) » .

ومن ذلك قول عامة بغداد : الورَن بدل : الورل (٢٢٠) .

٨ — بين النون والميم :

مع اشتراك الميم والنون في صفة الجهر ، وأن كلا منهما من الأصوات المائعة الشبيهة بأصوات اللين ، يشتركان أيضاً في أن مجرى الهواء معهما من الأنف .

وهذا جاءت في اللغة كلمات كثيرة مشتركة بين الميم والنون دون فروق في المعاني ، مثل : الغَيم والغَين : السحاب (٢٢١) . أسود قاتم وقاتن (٢٢٢) الحَزْم والحَزْن : ما غلظ من الأرض في رأي الأصمعي (٢٢٣) امتُقِع لونه وانتُقِع (٢٢٤) ، ماح الغصن ، وناح : تمايل (٢٢٥) الذام والذان : العيب (٢٢٦) . . . إلخ . . .

---

(٢١٨) تثقيف اللسان : ٩٥ ، ٩٦
(٢١٩) المدخل (الرد على ابن مكي) : ١٥
(٢٢٠) تقويم اللسان : ٢٠٢
(٢٢١) الابدال لأبي الطيب اللغوي : ٢ — ٤٢٣
(٢٢٢) المصدر نفسه : ٢ — ٤٢٥
(٢٢٣) المصدر نفسه : ٢ — ٤٢٩
(٢٢٤) المصدر نفسه : ٢ — ٤٣٠
(٢٢٥) المصدر نفسه : ٢ — ٤٤٠
(٢٢٦) المصدر نفسه : ٢ — ٤٤٣

وبهذا نفسر ما قاله عامة الأندلس : حُلْزُوم بدل : حَلَزُون .
وخَمَّم بدل : خَمَّن (٢٢٨) .

وما قاله عامة صقلية : فلان قائم على براثمه بدل : براثنه (٢٢٩) ، وخمَّمت على كذا بدل : خمنت (٢٣٠) . ومنطَر بدل : ممْطَر (٢٣١) . وحوت منقور بدل : ممقور (٢٣٢) . والمثالان الأخيران عند عامة بغداد أيضا (٢٣٣) .

أصوات الصفير :

٩ — السين والزاى :

مخرج هذين الصوتين واحد ، وهو عند التقاء أول اللسان بالثنايا السفلى أو العليا ، وكلاهما صوت رخو ، ولا فرق بينهما إلا فى أن الزاى صوت مجهور نظيره المهموس هو السين (٢٣٤) .

وفى اللغة كثير من الكلمات التى جاءت مرة بالسين وأخرى بالزاى ، دون اختلاف فى المعنى ، ومنها :

الرِجْز والرِجْس : العذاب (٢٣٥) . فلان من نحاز فلان ونحاسه ، إذا كان من ضربه وشبهه (٢٣٦) . الجِبْز والجِبس : الضعيف (٢٣٧)

---

(٢٢٧) لحن العامة : ١٩٤
(٢٢٨) تصحيح التصحيف : ١٤٨
(٢٢٩) تثقيف اللسان : ٩٦
(٢٣٠) المصدر نفسه : ٩٦
(٢٣١) المصدر نفسه : ٩٦
(٢٣٢) المصدر نفسه : ٩٦
(٢٣٣) تقويم اللسان : ١٨٧ ، ١٨٥
(٢٣٤) الأصوات اللغوية : ٦٤
(٢٣٥) الابدال لأبى الطيب : ٢ — ١١٦
(٢٣٦) المصدر نفسه
(٢٣٧) المصدر نفسه : ٢ — ١١٥

تزلّع جلده وتسلع ، تشقق (٢٣٨) ،نزغه ونسغه : طعنه بيد أو رمح (٢٣٩)

وفى ضوء ما سبق نفسر ما قاله عامة الأندلس : نَزْق بدل : منْسَق وهى آلة النسّاج (٢٤٠) ولعلهم قالوه أولا : نسْق ثم تطورت السين إلى زاى .

وقول عامة صقلية : مَهراز بدل : مِهراس ؛ زرْداب بدل : سرداب (٢٤١) وأمر مُزْجل بدل : مُسْجل . (وقد فسرنا الكلمة الأخيرة فى الفقرة الخاصة بالتماثل) .

وقول عامة بغداد : مُهندِز بدل : مهندس ،وهَجَز بقلبى بدل : هَجَس .

١٠ — السين والصاد :

الصاد صوت رخو مهموس ، يشبه السين فى كل شىء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق (٢٤٢) وإلى ذلك يشير سيبويه بقوله : « لو لا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً (٢٤٣) » إلخ .

ولهذا الصلة وردت فى اللغة كلمات كثيرة بالسين مرة ، وبالصاد أخرى بغير اختلاف فى المعنى ، ومنها :

القَسّ والقَصّ ، عظم الصدر (٢٤٤) . ماء سُخْن وصُخْن (٢٤٥)

---

(٢٣٨) الابدال لابى الطيب : ٢ — ١١١
(٢٣٩) المصدر نفسه : ٢ — ١٠٨
(٢٤٠) تصحيح التصحيف : ٣٠٧
(٢٤١) تقويم اللسان : ١٨٧ ، ٢٠٤
(٢٤٢) الأصوات اللغوية : ٦٤
(٢٤٣) كتاب سيبويه : ٢ — ٤٠٦
(٢٤٤) الابدال : ٢ — ١٨٢
(٢٤٥) المصدر نفسه : ٢ — ١٨٦

السَّقْر والصقر (٢٤٦) ،فتَمَسْتُ البيضةوفقصتها ، إذا شدختها(٢٤٧) ـ والمغْس والمغْص (٢٤٨) السُّد والصُّد : الجبل (٢٤٩) .

وفى ضوء ما سبق يفسر قول عامة الأندلس : « سابور المركب » بدل : صابور ، وهو ما يثقل به المركب ، ويرى الزبيدى أن اشتقاقه من صبر بمعنى حبس (٢٥٠) . وقال المستشرق « يوهان فك » تعليقاً على لفظ « سابورة » الذى ورد فى « أغلاط الضعفاء من الفقهاء» لابن برى : إن « أصل« سابور» من الكلمة اللاتينية Saburra ومعناها الرمل (٢٥١) » .

وأقول : إن الأنسب لهذه الكلمة أن تكون من الصَّبْرة والصَّبَار والصُّبارة وهى الحجارة . أما قول الزبيدى إنها من صَبَر بمعنى حبس فبعيد .

ومن إبدال السين والصاد أورد ابن مكى طائفة كبيرة من الألفاظ التى يقولها العامة بالسين وهى بالصاد أو العكس . ويمكن تصنيف هذه الألفاظ فيما يلى :

١ — ألفاظ يقولونها بالسين ،وأصلها الذى نبه عليه ابن مكى هو الصاد . وهذا هو الغالب ،أى أن البيئة تميل إلى الترقيق كما بينا من قبل . وهذه هى الألفاظ التى نطقت بالسين بدل الصاد : خُرْس بدل : خُرْص . وهو السِّوار ، وتخرَّس علىَّ بدل : تخرَّص ، وقال ذلك سُراحا ، من الصراحة . وهذه فُرْسة فانتهزها أى فرصة ، وخَنوس لولد الخنزير بدل : خَنُّوص ، وفُقُّوس أى فَقُّوص ،وسِنجة الميزان (٢٥٢) بدل : صَنْجة . وسَقَلِيَّة أى صَقَلِيَّة ،

---

(٢٤٦) الابدال : ٢ — ١٨٦ وجاء ايضا الزقر (الخصائص : ٣٠٥/٣)
(٢٤٧) المصدر نفسه : ٢ — ١٨٩
(٢٤٨) المصدر نفسه : ٢ — ١٧٨
(٢٤٩) المصدر نفسه : ٢ — ١٧٥ .
(٢٥٠) لحن العامة : ١٩٥
(٢٥١) العربية : ٢٢٥
(٢٥٢) قال ابن السيد البطليوسى ان صنجة الميزان تقال بالسين والصاد (الاقتضاب : ٢٠٤) .

وفقس البيض بدل : فقص (٢٥٣) ومَخْسَف الخرّاز وهو المخصَف ، وسَعْتَر (٢٨٤) اسم نبت ، وهو الصَّعْتَر ، ورمست عينه بدل : رَمصت ، والقُعاس بدل : القُعاص (٢٥٥) ، ووقعَت عليه وَسمْة بدل : وَصْمة ، وَسلُّور للحوت ، بدل : صِلَّوْر .

٢ ــ ألفاظ نطقوها بالصاد ، ونبه ابن مكي على أن صوابها بالسين . وقد تبين لنا أن هذه الألفاظ تشتمل على أحد أصوات الاستعلاء أو الراء ــ ولها حكمها ــ وربما تكون السين تأثرت بها فتطورت إلى نظيرها المطبق وهو الصاد ، ولو أن اللغويين يشترطون أن تتقدم السين على حرف الاستعلاء (٢٥٦) . هذه الألفاظ هي : قربوص السرج ، نقرص ، نَخّاص ، أخذه قصرًا ، برد قارص ، خصن ، صور المدينة ، صُرّة البطن . والصواب فيها : قَرَبوس ، نِقرس ، نخاس ، قَسْرًا ، قارس ، خس ، سور ، سُرّة .

٣ ــ ألفاظ لا تشتمل على صوت مستعل ، ومنها : ريح الصعانين بدل السعانين ، وحمصت الحب ، بدل : حمست .

ومن الخلط بين السين والصاد أيضاً قول عامة بغداد : برد قارص . وشيء قريص أي متجمد من شدة البرد ، وأخذه قصرًا ، وحارص ، ودابة شَمُوص وصَمِيراء . بدل : قارس ، وقَرِيس ، وقَسْرًا ، وحارس ، وشَموس ، وسَمِيراء . وعكس ذلك يقولون : ارتعدت فرائس الرجل ، وقانسة الطير ، وقَسيل (ما تعلف

---

(٢٥٣) في الأمثلة التي نقلناها أول هذه الفقرة ، من كتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي : دقست البيضة وفقصتها .

(٢٥٤) في الصحاح : السعتر : نبت . وبعضهم يكتبه بالصاد في كتب الطب لئلا يلتبس بالشعير .

(٢٥٥) في المزهر : ١ ــ ٤٧٠ عن ابن السيد البطليوسي : القعاص والعقاس .

(٢٥٦) الاقتضاب : ٢٠٣ وتقويم اللسان : ١٩٥

به الدواب) وبَخَسْتُ عينَه (٢٥٧) وأبو الحسين (للثعلب) وسماخ الأذن (٢٥٨). ومسح الله ما بك، وخساسة أى فقر. والصواب فى كل ذلك بالصاد، على ما ذكر ابن الجوزى.

١١ — السين والشين :

السين والشين كلاهما صوت رخو مهموس، غير أن مخرج السين عند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو العليا، بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جداً، يسبب اندفاع الهواء خلاله صفيراً عالياً. أما مخرج الشين فهو عند التقاء أول اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى (٢٥٩) والشين تتميز بالتمشى ومعناه أن مجرى الهواء مع الشين أكثر اتساعاً منه فى أصوات الصفير وأن الهواء معها لا يقتصر تسربه على المخرج، بل يتوزع فى جنبات الفم (٢٦٠) فهما مشتركان فى الهمس والرخاوة وقرب مخرجيهما، ويدل عليه قول سيبويه : « فأبدلوا من الشين نحوها فى الهمس والانسلال من بين الثنايا » (٢٦١) يعنى السين. وقال الدكتور إبراهيم أنيس بعد أن ذكر أن كثيراً من الأطفال يقلبون الشين سيناً : « والعلاقة الصوتية واضحة هنا لا تحتاج إلى عناء فى الكشف عنها (٢٦٢) ».

فلا غرابة إذاً أن تروى لنا كتب اللغة هذه الكلمات :

---

(٢٥٧) فى الاقتضاب : ٢٠٤ يقال بالصاد والسين عن الخليل وغيره.
(٢٥٨) المصدر نفسه : الصماخ بالصاد والسين.
(٢٥٩) الأصوات اللغوية : ٦٣، ٦٥
(٢٦٠) مصطلحات علمى الأصوات واللغة (مجلة مجمع اللغة العربية ٢١٣/١٦).
(٢٦١) كتاب سيبويه : ٢ — ٣٤٣
(٢٦٢) الأصوات اللغوية : ١٦٠

احتمس الديكان واحتمشا ، إذا اقتتلا (٢٦٣) ، غبس الظلام وغبش الظلام . السُّدْفة والشُّدْفة : الظلمة (٢٦٤) . جاحسه فى القتال وجاحشه عن الأصمعى . (٢٦٥) مضى جَرْس من الليل وجَرْش أى قطعة (٢٦٦) حَمِس الشر وحَمِس أى اشتد (٢٦٧) شَنَنْت عليه الماء وسننته ، أى رششته . وقال الأصمعى : سننت بالسين ، غير معجمة : صببت ، وشننت معجم الشين : فَرَّقت ، يقال : شنوا عليهم الغارة ، إذا فرَّقوها عليهم (٢٦٨) ، فقست البيضة أفقسها فقساً وفقشتها أفقشها فقشاً ، إذا فقصتها (٢٦٩) إلى غير ذلك . »

وفى ضوء ما سبق يمكن تفسير ما جاء من هذا الحرف فى الكتب الثلاثة كما يلى :

يمكن تقسيم الكلمات التى وقع اللحن فيها بالسين أو الشين قسمين :

القسم الأول : فى المعرَّب .

القسم الثانى : فى العربى .

فمن المعرب : ذكر الزبيدى (٢٧٠) وابن مكى (٢٧١) أن العامة يقولون للصقر : شَذَانق ، والصواب : سَوْذانق .

---

(٢٦٣) الابدال لابى الطيب اللغوى : ٢ — ١٥٤
(٢٦٤) المصدر نفسه : ٢ — ١٥٥
(٢٦٥) المصدر نفسه : ٢ — ١٥٧
(٢٦٦) المصدر نفسه : ٢ — ١٥٨
(٢٦٧) المصدر نفسه : ٢ — ١٥٩
(٢٦٨) المصدر نفسه : ٢ — ١٦١
(٢٦٩) المصدر نفسه : ٢ — ١٦٥
(٢٧٠) لحن العامة : ١٣٣ ، ٢٣٦
(٢٧١) تثقيف اللسان : ٦٧

والحق أن هذا الاسم عرب على عدة صور : السَّوْذق والشَّوْذَق (٢٧٢) والسُّوذانق والسوْذَنيق والشَّوْذَنيق (٢٧٣) والسَّيْذَرق (٢٧٤) والسَّوْذَرق (٢٧٥) وفى « نظام الغريب » للربعى (٢٧٦) أنه يقال بالسين والشين .

ومن المعرب أيضاً : ذكر ابن مكى أن عامة صقلية يقولون : سَلْجَم . والصواب : الشلجم (٢٧٧) . وندع التعليق لابن هشام اللخمى إذ قال فى « المدخل » (٢٧٨) : « أدخل أبو حنيفة السلجم فى حرف السين . هكذا تتكلم به العرب . وهو اسم أعجمى فحولت الشين سيناً » .

وقد ذهب ابن الجوزى إلى عكس ما ذهب إليه ابن مكى ، فعامة بغداد يقولون : شلجم بالشين معجمة ، وابن الجوزى يرى أن تكون بالسين على طريقة العرب فى تعريبهم .

القسم الثانى فى الكلمة العربية : يقول عامة صقلية : سَرَّجت الخُرج بدل : شَرَّجته ، وتلبَّش فلان بفلان أى تعلق ، بدل : تلبس (٢٧٩) . ويقول عامة بغداد : شَنَّ درعه بدل : سَنَّ ، وشَجَّار التَّنُّور بدل : سَجَّار ، وكُرْدوش لمفصل العظام بدل : كُرْدُوس . ومَرْش أى حبل بدل : مَرَس . وجارى مُكاشرى بدل : مُكاسرى . وهذه أخطأ فيها اللحيانى اللغوى وظن أنها

---

(٢٧٢) الابدال لابى الطيب ، ٢ — ١٥٩ والمعرب : ١٨٦
(٢٧٣) المعـــرب : ١٨٩
(٢٧٤) الصحاح (سذق)
(٢٧٥) تثقيف اللسان : ٦٧ ، وفى المزهر : ٢٧٩/١ : الشـــوذ نوق بالشـــــين .
(٢٧٦) ص : ١٦٩
(٢٧٧) تثقيف اللسان : ٦٧
(٢٧٨) الرد على ابن مكى : ١٦
(٢٧٩) تثقيف اللسان : ٦٧

من كشر فى وجهه ، فقال له ابن السكيت : مُكاسِرى ، كِسْر بيتى إلى كِسر بيته (٢٨٠) .

١٢ ـ الجيم والقاف والكاف :

الكلمات التى وردت فى الكتب الثلاثة بأحد هذه الأصوات الثلاثة ونبه المؤلفون على أن صحتها أن تقال بآخر منها ، هذه الكلمات أكثرها معرب عن الفارسية . ولهذا كان لا بد لنا أن نمهد ببيان مسلك العرب فى تعريب الكلمات المشتملة على أحد هذه الأصوات .

قال سيبويه فى كتابه (٢٨١) فى « باب اطراد الإبدال فى الفارسية » :

« يبدلون من الحرف الذى بين الكاف والجيم ، الجيم لقربها منها ، ولم يكن من إبدالها بد ، لأنها ليست من حروفهم وذلك نحو : الجُرْبز ، والآجُرّ ، والجورب » .

هذا هو تعريب الصوت الذى لا يوجد فى كلام العرب ، وهو الذى بين الكاف والجيم . ولعل سيبويه يعنى به ما نسميه الآن « الجيم القاهرية » . وهى نوع من الجيم خال من التعطيش ، شديد ، مجهور ، مخرجه وراء مخرج الجيم الفصيحة أى بالقرب من أقصى الحنك ، فعند التعريب يستبدل العرب بهذا الصوت ، الجيم العربية ، لأنها أقرب الأصوات إليه .

وقال سيبويه : « وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً ، قال بعضهم : كُرْبق وقُرْبَق (يعنى فى كُرْبج) (٢٨٢) .

---

(٢٨٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكرى : ١٨٥ وتقويم اللسان : ١٩١

(٢٨١) ٢ ـ ٣٤٢

(٢٨٢) فى الابدال لأبى الطيب : ٢ ـ ٨٥٣ الكربج والكربق والقربج : الحانوت بالفارسية .

ثم شرح سيبويه طريقة العرب فى تعريب الكلمات المنتهية بحرف لا يثبت فى كلام الفرس بقوله: « ويبدلون مكان آخر الحرف الذى لا يثبت فى كلامهم إذا وصلوا ، الجيم، وذلك نحو كوسه وموزه ، لأن هذه الحروف تبدل وتحذف فى كلام الفرس ، همزة مرة وياء مرة أخرى» (٢٨٣) .

ويعلل سيبويه لإبدال الجيم من الياء فى آخر الكلمة : « وأبدلوا الجيم لأن الجيم قريبة من الياء ، وهى من حروف البدل ، والهاء قد تشبه الياء ولأن الياء أيضاً قد تقع آخرة . فلما كان كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف ، وجعلوا الجيم أولى لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمى الذى بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى. وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها فى الأول فأشرك بينها. وقال بعضهم : كَوْسَق وقالوا : كُرْبَق . وقالوا قُرْبَق . وقالوا : كَيْلَمَة » (٢٨٤) .

وخلاصة ما قاله سيبويه أن الكلمات المنتهية بهاء فى الفارسية تعرب بالجيم بدل الهاء . وقد تعرب بالكاف أو القاف ، ولكنه يرى أن الجيم أولى .

وقد علق الدكتور عبد الوهاب عزام على كلام سيبويه شارحاً موضحاً بقوله : « إن الكلمات الفارسية المنتهية بالهاء تقلب هاؤها كافاً فى الجمع ، فيقال فى جمع بَنْده ونُوشْته : بندكان ونوشتكان ، وهذا قياس مطرد . ونفسر هذا بأن الجمع يرد الأشياء إلى أصولها — كما يقول النحاة — وبتعبير أصح : الجمع يحفظ أصول الكلمات ، فالحرف الذى يسقط أو يخفف آخر الكلمة يبقى فى الجمع على أصله ، لأنه لا يقع فى الجمع آخراً ، بنده أصله بندك ، خففت الكاف فى المفرد وبقيت فى الجمع ».

وبهذا نفسر كل الكلمات المعربة التى يضع العرب فى أواخرها جيماً أوقافاً بدل الهاء : فخندق أصله كندك فى اللغة الفهلوية ، وسقطت الكاف فى

---

(٢٨٣) كتاب سيبويه : ٢ — ٣٤٢ ، ٣٤٣ . ولعل الصواب : تحذف وتبدل .

(٢٨٤) كتاب سيبويه : ٢ — ٣٤٣

الفارسية الحديثة ،وكذلك بَيْدق ورُسْتاق ، ورَزْدَق ، وبَهْرج ،وفالوذَج ولوزَيْنَج(٢٨٥) » .

ويؤيد هذا ما جاء فى « المزهر» (٢٨٦) : الخندق أصله :كَنْده ، الجرْدَق أصله : كرده . الإستَبْرَق أصله: إستَرْوه . المَوْزَج (الخف) أصله موزه .

ونخلص من ذلك إلى الحقيقتين التاليتين :

١ — أن الكاف الفارسية — وهى التى تنطق كالجيم القاهرية — تعرب بالجيم ، وأحياناً بالكاف أو القاف .

٢ — أن الكلمات المنتهية فى الفارسية بهاء كانت فى البهلوية بالكاف ، ثم سقطت الكاف فى الفارسية الحديثة ثم عربت بالجيم أو القاف .

وفى ضوء ما سبق نفسر ما جاء عند ابن مكى وابن الجوزى من الكلمات المعربة التى تتردد بين هذه الأصوات الثلاثة :

ذكر ابن مكى أن عامة صقلية يقولون : سَنْبُوسَك بالكاف ،وأن صوابها : سنبوسج وسَنْبُوسَق .

وهذه الكاف هى التى ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام أنها كانت فى البهلوية ، ثم سقطت فى الفارسية الحديثة ، وعربها العرب بالجيم والقاف .

والكاف التى يقولها العامة هى الأصل ،لكن ابن مكى يقصد أنهم خالفوا طريقة العرب فى تعريبهم . ولكن هذا الرأى لم يطرد فى تصويبه ،فهو فى حالة أخرى يجيز النطق بالحرف الأصلى حيث يقول فى دِرْكلة (وهى لعبة للعجم) ،

---

(٢٨٥) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٣ — ٤٦ ، ٤٧

(٢٨٦) ١ — ٢٨٠

« وفيها ثلاث لغات : دركالة بكاف محضة . ودرْجلة بحرف بين الكاف والقاف . وقال ابن خُرَّزاذ : درْقلة بالقاف (٢٨٧) ».

وهنا ملاحظة ربما تلقى ضوءاً على نطق أهل صقلية للجيم :

ذكر ابن مكى أن الخاصة يكتبون : جرْجنْت — اسم مدينة فى صقلية — بالجيم . وأن العامة يكتبونها بالكاف ، وهو الصواب عند ابن مكى .

وواضح أن الخلاف لم يكن فى نطق اسم هذا البلد ، وهو فى صقلية ، بل الاختلاف فى الكتابة — كما ذكر ابن مكى — وربما استنتجنا من هذا أنها كانت تنطق بالكاف المجهورة ، أو ما نسميه نحن « الجيم القاهرية » ، وهى التى سماها سيبويه الحرف الذى بين الكاف والجيم ، فرأى ابن مكى أن كتابتها بالكاف أدق فى تصوير نطقها . ويؤيد هذا أن ابن مكى نص فى حالة أخرى على نطقهم لحرف بين الكاف والقاف فى قولهم للقميص الذى لا كُمَّىْ له : بَكِيرة ، والصواب : بَقِيرة . بقاف محضة (٢٨٨) .

أما ابن الجوزى فقد أورد كلمات تنتهى عند العامة بالكاف ، وذكر أن الصواب أن تكون بالجيم ، مثل : السُّوبك ، وصوابها : الصُّوبج ، والدَّسْتَك وصوابها : الدَّسْتَج . وشَهْدانك ، وصوابها : شهدانج (٢٨٩) .

كما ذكر أنهم يقولون : فالُوذَج والصواب : فالوذ وفالوذَق (٢٩٠)

وقد روى عن الأصمعى أن الفالوذ هو الصحيح . أما الفالوذج فأعجمى والفالوذَق مولَّد (٢٩١) .

---

(٢٨٧) تثقيف اللسان : ٢٢٢

(٢٨٨) تثقيف اللسان : ٩٤

(٢٨٩) تقويم اللسان : ١٤٩ ، ١٢٤ ، ١٤٦ على الترتيب .

(٢٩٠) المصدر نفسه : ١٦٣

(٢٩١) المزهر : ١ — ٢٨٠

وهذه الكلمات من بين ما ذكر الدكتور عبد الوهاب عزام أن أصلها فى الفهلوية بالكاف ، وأن العرب عربوها بالجيم . فالذين ينطقونها بالكاف جروا على أصلها ، أى أنهم نطقوها بالجيم الشديدة غير المعطشة ، وابن الجوزى يريد النطق بالجيم العربية .

وأورد ابن الجوزى من الكلمات المعربة أيضاً : المَرْزجُوش وهو معرب عن الفارسية ، ويقال فيه أيضاً : المرزنجوش (٢٩٢) وبعض العامة تنطقه : المَرْزَكوش . والجُدْجُد والعامة تنطقه : الكُدْكُد . وجُدَّاد (٢٩٣) والعامة تنطقه كُدَّاد (٢٩٤) . ويبدو أن العامة كانت تنطق هذه الكاف مجهورة خالية من التعطيش ، كأصلها فى الفارسية ، وأراد ابن الجوزى بتصويبه أن تنطق بالجيم العربية ، لأن الحرف الذى بين الجيم والكاف ليس من الحروف العربية .

١٣ — الجيم والدال :

ذكر الزبيدى وابن مكى أن العامة يقولون فى الجَشيش : الدشيش بالدال بدل الجيم (٢٩٥) ، وزاد ابن مكى قول عامة صقلية : تَدَشَّيْت . فى موضع : تجشَّأت (٢٩٦) .

وما حدث هنا هو انتقال الجيم إلى مخرج الدال ، وله ما يؤيده من الناحية الصوتية ، إذ تنتقل الجيم من مخرجها عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك

---

(٢٩٢) المزهر : ١ — ٢٧٦

(٢٩٣) تقويم اللسان : ١٨٣ ، ١١١

(٢٩٤) فى الصحاح أن الجداد ، وهى الخلقان من الثياب ، وكل شىء تعقد بعضه فى بعض ، معرب « كداد » عن الفارسية . ولكن فى المزهر : ١ — ٢٨٣ عن ابن دريد أنه معرب عن النبطية .

(٢٩٥) لحن العامة : ٥٧

(٢٩٦) تثقيف اللسان : ٩٩

الأعلى ، إلى مخرج أمامى يلتقى فيه طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكماً وبهذا تزيد شدة وينقطع تعطيشها ، مع محافظتها على صفة الجهر . وهذا المخرج الأمامى الجديد هو مخرج الدال .

١٤ ــ القاف والكاف :

القاف ــ كما يقرأ بها فى القراءات القرآنية ــ صوت شديد مهموس ، مخرجه عند اتصال أدنى الحلق ــ ومنه اللهاة ــ بأقصى اللسان . والكاف ــ كالقاف ــ صوت شديد مهموس ، غير أن مخرجه عند اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ، أما مخرج القاف فهو أعمق قليلا من هذا المخرج (٢٩٧) . وتختلف القاف عن الكاف ــ إلى جانب المخرج ــ بأن القاف من الأصوات المستعلية . فتطور أحد الصوتين إلى الآخر له ما يؤيده من الناحية الصوتية ، إذ ينتقل مخرج القاف إلى الأمام قليلا ، أو ينتقل مخرج الكاف إلى الخلف قليلا .

وروت لنا كتب اللغة مفردات وقع فيها أحد الصوتين بدلا من الآخر ، منها :

الأقهب والأكهب ، من الألوان : الأغبر (٢٩٨) ، وقشطت الكتابة عن القرطاس قشطا ، وكشطتها كشطاً (٢٩٩) . وقهرته أقهره قهرًا ، وكهرته أكهره كهرًا ، وقرأ بعض الأعراب : ﴿فأما اليتيم فلا تكهر﴾ عن ابن السكيت (٣٠٠) . وهذا أعرابى قُحٌّ ، وكُحٌّ (٣٠١)

---

(٢٩٧) الأصوات اللغوية : ٦٩

(٢٩٨) الابدال لأبى الطيب اللغوى : ٢ ــ ٣٥٤ وفى الصحاح عن أبى عمرو : الكهبة لون ليس بخالص فى الحمرة .

(٢٩٩) المصدر نفسه : ٢ ــ ٣٥٦

(٣٠٠) المصدر نفسه : ٢ ــ ٣٥٦

(٣٠١) المصدر نفسه : ٢ ــ ٣٥٧

ونَقب على القوم ينقُب نِقابة ،ونكَب عليهم ينكُب نكابة ، وهو النقيب والنَّكيب ، ومعناه عريف القوم (٣٠٢) . ولقزه بيده يلقُزه لقزًا ، ولكزه يكزه لكزًا ، وهما واحد (٣٠٣) .

وفى ضوء هذايفسر قول عامة الأندلس وصقلية : ترْكُوة ،وحُك وحُكَّة ، وحُكّ الوَرك، بدل: تَرْقُوة ، وحُقّ ، وحقة ، وحق الورك (٣٠٤) ، وبدل انتقال مخرج القاف إلى الأمام فى هذه الأمثلة، على ميل البيئتين إلى الترقيق ، وهو ما ذهبنا إليه فيما سبق .

غير أن الزبيدى وابن مكى نقلا لنا أمثلة تبدو مخالفة لهذا الاتجاه ،فذكر الزبيدى وابن مكى أنهم يقولون لأجرة الرحى :المَقْس ، ولخادم الرحى : مَقّاس (٣٠٥) ، بدل : المَكْس والمكّاس .

ونقل الزبيدى أن عامة الأندلس يقولون للكوب : قَبّ (٣٠٦) كما نقل ابن مكى أن عامة صقلية يقولون : « اقطعه من حيث رق » (٣٠٧) ، بدل : رك ، أى ضعف .

ويبدو لى أن قول عامة صقلية « اقطعه من حيث رق » وهو من الأمثال الشائعة بين عامة المشرق،قد انتقل إلى صقلية، بهذه الصورة التى نبه اللغويون على خطئها ، وقالوا إن صواب المثل : « اقطعه من حيث رك » ، أى ضعف (٣٠٨) ، أو ربما نطقه بعض فصحائهم بالقاف على أنه من الرقة

---

(٣٠٢) المصدر نفسه : ٢ — ٣٥٩
(٣٠٣) المصدر نفسه : ٢ — ٣٦١
(٣٠٤) تثقيف اللسان : ٩٤ و لحن العامة : ٩٧ .
(٣٠٥) لحن العامة : ١٧٧ ، وتثقيف اللسان : ٩٤ .
(٣٠٦) لحن العامة : ١٨٩ .
(٣٠٧) تثقيف اللسان : ٩٥ .
(٣٠٨) الصحاح ، وتقويم اللسان : ١٣٢

وهى الضعف مثل الرَّقَق (٣٠٩) لا من الركاكة كما قال أهل اللغة ، وهى الضعف أيضاً .

أما المقس ، والقب ، فربما نطق بهما بعض المتفصحين ليغايروا بين نطقهم والنطق العامى للكلمات المشتملة فى الأصل على قاف ، إذ يقول العامة : حِلْك وتَرْكُوة .

أما ما حدث فى بيئة المشرق كما نقله ابن الجوزى فأمثلته كلها أبدلت فيها القاف من الكاف ، إذ يقولون : القِشْمِش بدل : الكشمش ، والقَرْطبان بدل : الكَلْتبان (٣١٠) ، و « قطعه من حيث رق » بدل : رك .

وقد ذكر ابن مكى صورة أخرى تطورت إليها القاف ، إذ نقل قول عامة صقلية للقميص الذى لاكُمَّ له : بكيرة بحرف بين الكاف والقاف . والصواب : بقيرة بقاف محضة (٣١١) ، وهذا الصوت الذى بين الكاف والقاف هو ما نسميه الآن « الجيم القاهرية » . وانتقال القاف إلى الأمام قليلا ينتج هذا الصوت الشديد المجهور الذى وصفه ابن مكى بأنه بين الكاف والقاف ، وهو صوت كان معروفاً فى لهجة تميم (٣١٢) .

١٥ — الأصوات الحلقية :

الخاء والغين :

مخرج هذين الصوتين واحد ، وهو أدنى الحلق إلى الفم (٣١٣) ، وكلاهما رخو ، غير أن الغين صوت مجهور ، والخاء نظيره المهموس ، فالنطق بالغين

---

(٣٠٩) الصحاح (رقق) .
(٣١٠) تقويم اللسان : ١٧٣ ، ١٧٥
(٣١١) تثقيف اللسان : ٩٤
(٣١٢) الصاحبى : ٥٤ والمزهر : ١ — ٢٢٢
(٣١٣) الأصوات اللغوية : ٧٠

خاء تهميس للصوت ، والنطق بالخاء غيناً تجهير له .

وفى ضوء هذا يفسر قول عامة الأندلس للركاب من الجلد : خَرْز بالخاء ، بدل : غَرْز بالغين (٣١٤) .

وقول عامة صقلية : غفارة وغمير ، بالغين بدل : خفارة وخمير (٣١٥)

وقد روى بالوجهين قول عامة بغداد : دخل فى غُمار الناس ، مع أن ابن الجوزى عده خطأ ، وقال إن الصواب : خُمار (٣١٦) . والجوهرى يعد خمار الناس لغة فى غمارهم ، أى زحمتهم وكثرتهم (٣١٧) .

ومثله قولهم : أباد الله خضراءهم ، قال ابن الجوزى : والصواب : غَضْراءهم (٣١٨) . وهو فى هذا جار على رأى الأصمعى ، مع ورود التعبير بالخاء والغين ، فالذين قالوا : خضراءهم ، يعنون سوادهم ومعظمهم ، والذين قالوا : غضراءهم : يعنون خيرهم وغضارتهم .

ويقول عامة بغداد أيضاً : صاغرة لإناء من خزف يسمى : صاخرة (٣١٩)

الحاء والهاء :

كلاهما صوت رخو مهموس ، ومخرجهما من الحلق مع اختلاف يسير فالحاء من وسطه ، والهاء من أقصاه أو من داخل المزمار (٣٢٠) ، فالهاء أخت الحاء كما قال ابن جنى (٣٢١) . ومما وقع فيهما من إبدال : حمّمت

---

(٣١٤) تصحيح التصحيف : ١٤٤
(٣١٥) تثقيف اللسان : ٨٢
(٣١٦) تقويم اللسان : ١٢٢
(٣١٧) الصحاح (خمر) .
(٣١٨) تقويم اللسان : ١٦٢
(٣١٩) المصدر نفسه : ١٥٠
(٣٢٠) الأصوات اللغوية : ٧١ وعلم اللغة للسعران : ١٩٦
(٣٢١) الخصائص : ٢/١٤٩

بالأمر وهممت به (٣٢٢) ، وحَبَش له وهَبَش (٣٢٣) ، والحبتر والهَبتَر (٣٢٤) ومدح ومدّه (٣٢٥) .

وفى ضوء هذا يمكن تفسير قول عامة صقلية : هو يهدِر فى قراءته بدل : يَحدُر ، أى يُسرع (٣٢٦) . وربما كان منشأ اللحن هنا الربط بين الإسراع فى القراءة وهدير الجمل ، أى ترديد صوته فى حنجرته .

وروى ابن الجوزى من ذلك مثالين ، قولهم : تنهس النصارى بدل : تنحسوا ، أى امتنعوا عن أكل اللحم . وقولهم للقصب : هُرْدى بدل : حُرْدى (٣٢٧) ، على أن هذه الكلمة معربة عن النبطية كما قال الجوهرى (٣٢٨) فربما نطقها العامة بصورتها النبطية ، أى بالهاء .

العين والهمزة :

مخرج العين من وسط الحلق ، ومخرج الهمزة من المزمار ، فهما متقاربان مخرجاً ، غير أن العين صوت مجهور عده القدماء متوسطاً بين الشدة والرخاوة . والهمزة صوت شديد لا يوصف بجهر أو همس ، لأن فتحة المزمار معه مغلقة إغلاقاً تاماً لا تسمع معه ذبذبة الوترين الصوتيين (٣٢٩) ، ومع هذا الاختلاف فبين الصوتين قرب فى المخرج ، ولهذا جاءت فى اللغة كلمات مشتركة بين الهمزة والعين . فعن الأصمعى : يقال آديته على كذا وأعديته ، أى قويته

---

(٣٢٢) الابدال لابى الطيب : ١ — ٣٢٢
(٣٢٣) المصدر نفسه : ١ — ٣١٩
(٣٢٤) المصدر نفسه : ١ — ٣٢٥
(٣٢٥) الصحاح (مده) .
(٣٢٦) تثقيف اللسان : ٨٢
(٣٢٧) تقويم اللسان : ١٠٧ ، ١١٣
(٣٢٨) الصحاح (حرد) .
(٣٢٩) الأصوات اللغوية : ٧٢

وأعنته(٣٣٠) ، ويقال: كثأ اللبن وكثع ، إذا علا دسمه وخثورته على رأسه فى الإناء (٣٣١) ، وعباب الموج وأبابه (٣٣٢) : وعن الأصمعى : الثُّمِىء لونه، والتمع لونه (٣٣٣) .

ومع هذه الصلة ، ومع ورود الأمثلة السابقة وغيرها ، لا أميل إلى أن المثالين اللذين نقلهما الزبيدى وابن مكى عن عامة الأندلس وصقلية تم الإبدال فيهما لهذه الصلة وحدها ، بل ربما كان السر فيه أيضاً هو ما يسمى « عقدة العين » ذلك أن العين لما كانت عسيرة النطق على غير أهل البلاد العربية ، فإنهم يحاولون تحقيقها ليكون نطقهم على سنن العربية ، ويترتب على هذا الحرص على تحقيق العين ، توهُّم أن أصل الهمزة فى بعض الكلمات عين فينطقونها عيناً .

والمثالان اللذان نقلهما الزبيدى وابن مكى هما قول عامة الأندلس وصقلية: فَتَعْت عين الرجل ، وهو مَفْقوع العين ، وابن المَفْقع (ذ م) (٣٣٤) . بدل : فقأت ، وفقوء ، ومُفَقَّأ .

وقول عامة صقلية : فرس أصدع بدل: أصدأ ، وهو الذى تقارب حمرته السواد (٣٣٥) ، مشتق من صدأ الحديد .

١٦ — صوتان غير متقاربين :

الهمزة والميم :

هذان صوتان غير متقاربين لامخرجاً ولا صفة ،ولن أحاول هنا تعليل نطق

---

(٣٣٠) الابدال : ٢ — ٥٥٢
(٣٣١) المصدر نفسه : ٢ — ٥٥٤
(٣٣٢) المصدر نفسه : ٢ — ٥٥٥
(٣٣٣) المصدر نفسه : ٢ — ٥٥٨ والأمالى : ٢ — ٧٩
(٣٣٤) لحن العامة : ١٦٩ وتثقيف اللسان : ٧٤
(٣٣٥) تثقيف اللسان : ٧٤ .

العامة بالهمزة ميما ، تعليلا صوتياً، بل سأعرض الأمثلة التى رويت من هذا الباب وأتجه فى تفسيرها وجهة أخرى :

فقد اشترك عامة صقلية وعامة المشرق فى قولهم : مَرْزَبة بالميم وتشديد الباء . ومطايب الشاة أو الجزور . بدل : إرزبَّة، وأطايب (٣٣٦) (جمع أطيب) .

وقال عامة المشرق (بغداد) : مَنْفَحة ، ومَرْجُوحة (٣٣٧) والمختار عند اللغويين الذين يؤثرون الأفصح فى هذه الأمثلة : إرْزَبَّة، أو مِرْزَبَة بتخفيف الباء، وأطايب ، وإنفحة، وأرجوحة .

ونلحظ فى هذه الأمثلة ما يلى :

١ — أن الهمزة فيها كلها واقعة فى أوائلها .

٢ — أن اللغويين رووا عن بعض العرب نطقهم لثلاث من الكلمات الأربع السابقة بالهمزة والميم، فقد وردت : إرزبَّة ، ومِرْزبة، غير أنهم يذهبون إلى أن الباء مع الميم مخففة ، وعليها قول الراجز الذى أنشده الفراء :

* ضَرْبَكَ بالمِرْزَبَةِ العودَ النخِرْ (٣٣٨) *

ووردت : إنفحة ومِنفَحة ، رواهما صاحب « الصحاح » (٣٣٩) . قال ابن السكيت : « حضرنى أعرابيان من بنى كلاب ، فقال أحدهما : إنفحة ، وقال الآخر : مِنفَحة ، ثم افترقا على أن يسألا جماعة الأشياخ من بنى كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا . وهما

---

(٣٣٦) تثقيف اللسان : ٧٤ . واصلاح المنطق : ٣٠٣

(٣٣٧) تقويم اللسان : ٨٥ ، ٨٦

(٣٣٨) اصلاح المنطق ، ١٧٧

(٣٣٩) الصحاح (نفح)

لغتان (٣٤٠) » .

وقال الحريرى — وقد عرف عنه التشدد فى اللغة — فى المقامة الخامسة عشرة (٣٤١) : « فحكمنى فى القرّى ، ومطايب ما يشترى » وفى هامشه : « مطايب ، هكذا وجد بخط الحريرى وروى عنه ، والصواب : أطايب جمع أطيب » وقد نبه ابن السكيت إلى أن الصواب : أطْعَمَنا من أطايب الجزور . قال : ولا تقل من مطايب (٣٤٢) .

فالنطق فى هذه الأمثلة بالهمزة والميم لم يقتصر على العامة فى العصور المتأخرة ، بل روى عن بعض القبائل العربية ، وروى عن بعض المتشددين من اللغويين مثل الحريرى . ولكن هذا لا يحل المشكلة ، ولا يفسر لنا نشأة هذا الإبدال الذى لا تقره القوانين الصوتية ، لتباعد ما بين الصوتين مخرجاً وصفة . . .

والذى أرجحه فى نشأة هذا اللحن ، بعد أن لحظت أنه وقع كله فى أوائل الكلمات المروية فى الكتب التى ندرسها : أنه نوع من القياس الخاطىء (٣٤٣) على الكلمات المشتقة المبدوءة بالميم ، فإن أكثر صيغ المشتقات فى اللغة العربية تبدأ بالميم . فقاس العامة « أرجوحة » على اسم المفعول من رجح فقالوا : مرجوحة كمركوبة ، وقاسوا أطايب ، جمع أطيب ، على مطايب جمع مَطْيَبَة فى قول العرب : هذا شراب مَطْيَبَة للنفس (٣٤٤) . وتوهموا الإنفحة مكاناً للنفح ، فقالوا : منفحة بفتح الميم ، ولما كانت الإرْزَبة أداة يكسر بها المدَر ، فقد نطقوا بها كذلك بصيغة اسم الآلة ، فقالوا : مِرزَبة ورويت فى الشعر كذلك ، ثم تطورت إلى مَرَزَبَّة بفتح الميم وتشديد الباء . أما فتح الميم فقد فسرناه من قبل

---

(٣٤٠) اصلاح المنطق : ١٧٥ ، ١٧٦
(٣٤١) مقامات الحريرى : ١٠٥
(٣٤٢) اصلاح المنطق : ٣٠٣
(٣٤٣) انظر الفصل الرابع من هذا الباب : ٣٣٥
(٣٤٤) الصحاح (طيب) .

بأنه نوع من الانسجام الصوتى ، وأما التشديد فهو محكى عن العرب فى إرزبّة . . فقيست هذه على تلك .

فالسبب فى هذا النوع من اللحن بين الهمزة والميم ، فى أوائل الكلمات هو « القياس الخاطىء » على صيغ المشتقات المبدوءة بالميم ، وهى كثيرة فى اللغة العربية .

* * *